الفصل الرابع

التغيّر .. والعوامل المؤدية إلى تعاطى المخدّرات

تحاول المجتمعات فى كل الأوقات ، أن تحقق نوعا من التوازن الاجتماعى ، لكى تحفظ لنفسها امكانية الاستمرار والبقاء ، وتختلف انواع هذا التوازن بين مجتمع وآخر ، فالمجتمعات الساكنة ، قليلا ما يعتريها التغير ، لبطئه أولا ، وطول فترته الزمنية ثانيا ، وكان ذلك فى القرون الماضية علامة من علامات الاستقرار ، غير ان الحياة الحديثة والتقدم التقنى المعاصر ، فرض ايقاعا متسرعا للتغير ، ومن ثم فان التوازن الاجتماعى ، يتعرض بين آونة وأخرى الى احدى هجمات التغير الاجتماعى ، ويتعرض التنظيم الاجتماعى القائم ، لتنسيق العلاقات الاجتماعية ، من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها اجتماعيا ، يتعرض تحت وطأة التغير الاجتماعى لفقدان بعض أغراضه ، ووظائفه ، ويكتسب اهدافا جديدة ، أو وظائف جديدة . وفى كل الأحوال ، يتعرض المجتمع وتنظيماته الى بعض أنواع التفكك أو الانحلال ، أو سوء التنظيم ، ويبدو ذلك متوافقا مع التغير الاجتماعى ، أو انه ناتج عنه ، فالتغير الاجتماعى قد يعمل على هدم تنظيمات قائمة ، أو يشكك فى القيم السائدة ، وبالتالى : تصبح المعايير القديمة غير صالحة للتطبيق ، وتحل مكانها معايير جديدة ، وقيم جديدة .

وتعيش المجتمعات عادة فترة قلق مستمر ، بين قديمها وجديدها بين انساقها التقليدية ، وانساقها الجديدة ، بين معاييرها القديمة ومعاييرها الجديدة ، الى أن تستطيع الحصول على نوع من التوازن

الاجتماعى ، يكفل لها التقدم والاستمرار ، الى أن تداهمها موجة أخرى من موجات التغير الاجتماعى ... وهكذا .

وتختلف المجتمعات بعضها عن البعض الآخر فى مدى تقبلها للتغير الاجتماعى ، وتقاس عمليات التقدم بمفهومها المعاصر : الاقتصادى والثقافى والاجتماعى والسياسى ، بمدى قدرتها على التكيف مع التغيرات الاجتماعية الجديدة ، فمجتمعات تملك ديناميات داخلية متفتحة تمكنها أن تستوعب المتغيرات بسرعة نسبية ، وأخرى تفقد هذه الديناميات ، فتظل متشبثة بأنساقها ومعاييرها القديمة ، وترفض التغير وتقاومه ، وفى كل الأحوال ، يفرض التغير ، عند الذين يتكيفون ، والذين يرفضون ، نوعا من الانحلال الاجتماعى ، والفرق بين الاثنين : هو مدى استيعاب هذا الانحلال ، وتحويله ايجابيا وفى مسارات اجتماعية جديدة ، تساعد على التقدم والنمو ..

وعند تناولنا علاقة ادمان المخدرات بالتغير الاجتماعى ، يجب الا نخلط بين العمليات العامة للانحلال الاجتماعى ، وبين عوارضه ومظاهره ، ومن ثم فتناول المخدرات كظاهرة اجتماعية ، مظهر من هذا الانحلال ، أو سوء التنظيم .

ويجب أن يتضح فى الأذهان : أن العمليات المكونة للانحلال الاجتماعى ، والتى تؤدى الى ارتفاع نسبة مدمنى المخدرات ، هى نفسها التى تؤدى الى التصدع الأسرى . وخللا فى سلم القيم ، وسوء المستوى الاقتصادى ، وتبعثر أوقات الفراغ حول الشباب حتى يتبعثروا حول أنفسهم ، هذا بالاضافة الى ضعف الوازع الدينى ... الخ .

ويمكن الاستدلال على ضعف التكيف ، من خلال دراسة : أثر التغير الاجتماعى على هذه العناصر :

- الأسرة .
- القيم .

- الاقتصـــاد .
- الاعـــلام .
- أوقات الفراغ .
- جماعة الرفاق .
- ضعف الوازع الدينى .

لكى نصـل الى أثر التغير الاجتماعى على ارتفاع نســـبة من يتعاطون المخدرات ومن أصبحوا يدمنونها ، فلم تتغير حياتهم فقط ـ فى اطار التغير الاجتماعى ـ ولكنها تحولت الى جحيم .

***

● **التغير والأسرة :**

الأسرة من أهم الجماعات الانسـانية وأعظمها تأثيرا فى حيـــاة الأفراد والجماعات ، فهى الوحدة البنائية الأســاسية التى تنشـــأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعيـة ، وهى التى تقوم بالدور الرئيسى فى بناء صرح المجتمع ، وتدعيم وحدته ، وتنظيم سـلوك أفراده ، بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعيـة المحددة ، وفقا للنمط الحضارى(١) .

وتمتاز الأسرة كمنظمة اجتماعيـة بأنها تمارس نفوذا كبيرا على افرادها باعتبارها أول منظمة تتلقى الفرد ، وتوفر له الرعاية والغذاء ، وكل متطلبات التنشـــئة الاجتماعيـة ، والفرد داخل هـــذه المنظمة : يتشرب قواعدها التنظيمية ، ويخضـع لسننها الاجتماعيـــة ، وعاداتها واعرافها وتقاليدها ، ويتفاعل تفاعلا مباشرا مع بقيـة افرادها ، ولا ريب أن هـذه الميزة قـد أعطت الأسرة أســبقية ، بل واحقيـــة فى ولاء الأفراد لها ، والتعاطف معها ، وضرورة التمسـك بها ، كنظام اجتماعى لا غنى للفرد أو الجماعة أو للمجتمع عنـه(٢) .

---

(١) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، الكتاب الأول ، المدخل ، الطبعة الأولى ، مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، ص ٤٠٦

(٢) زيدان عبد الباقى ، الأسرة والطفولة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠ ، ص ٤

وقد اجمع دارسو علم الاجتماع : على أن الأسرة تعتبر أحد مقومات الوجود الاجتماعى ، فى المجتمع الانسانى ، وهى لذلك تعتبر نظاما عالميا ، لأنها تقوم بانجاز عدد من الوظائف الأساسية ، للمحافظة على استمرار الحياة الاجتماعية ، ومن مظاهر عالميتها أيضا : أن كل مجتمع يجيز التزاوج بين الذكر والأنثى ، فيعطى الشرعية لميلاد الطفل ، ويتم هذا بطريقة تختلف من مجتمع لآخر ، ويحصل من خلالها الطفل على مركز وحقوق معينة ، كما تقع مسئولية رعايته وتلقينه القيم الاجتماعية والدينية ، على كاهل أفراد أسرته(٣) .

فالأسرة منذ نشأتها كانت تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية تقريبا ، فى الحدود التى يسمح بها نطاقها ، وبالقدر الذى تقتضيه حاجتها الاقتصادية والاجتماعية والخلقية والقضائية ، والتربوية والدينية ، وما الى ذلك ، فكانت بمثابة هيئة اقتصادية تقوم بالانتاج ، وتشرف على التوزيع والاستهلاك والاستبدال الداخلى ، وكانت بذلك تكفى حاجتها بنفسها حيث تنتج ما تحتاج اليه ، ولا تستهلك الا بقدر ما تنتج ، كما كانت هيئة تشريعية : فهى التى كانت تضع الشرائع ، وترسم الحدود ، وتمنح الحقوق وتفرض الواجبات ، وكانت تشرف على شئون سياستها العامة ، وتنظيم علاقتها بغيرها من الأسر ، وتتعهد بتنفيذ ما تضعه من شرائع ، وتؤدى ـ تقريبا ـ الوظائف التى تقوم بها الحكومات فى المجتمعات الحديثة(٤) .

وتعرضت الأسرة فى المجتمعات الحضرية والصناعية الحديثة لكثير من التغيرات البنائية ، والوظيفية ، نتيجة للتصنيع وعمليات التحضر ، مما أثر على النمط العام للأسرة فى المجتمعات القديمة (الأسرة الممتدة) وفرضت الحياة الحديثة نوعا مغايرا وجديدا من الأسر الصغيرة (الأسرة

---

(٣) سناء الخولى ، الزواج والعلاقات الأسرية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ ، ص ٥٥

(٤) على عبد الواحد وافى ، الأسرة والمجتمع ، الطبعة الثامنة ، دار النهضة ، ١٩٧٧ ، ص ١٥ ، ١٦

النووية) وبذلك اصبحت الروابط القرابية اقل بكثير مما كانت عليه فى المجتمعات السابقة ، وانحصرت الروابط بين الزوجين واولادهما المباشرين فقط(٥) .

واعقب هذا التغير فى حجم الأسرة ، تغيرات اخرى كثيرة ، خصوصا : تقلص الوظائف الاجتماعية التى كانت تقوم بها ، وتلا ذلك تغير فى نوع القيم والمعايير التى يكتسبها الأبناء من خلال اسرهم ، كما اختلفت بعض الاتجاهات التى كانت تحدد سلوك الأبناء ، تجاه كبار السن والاقارب ، وهذا يعنى ـ ضمن ما يعنيه وهو كثير ـ ان التغير الاجتماعى والحياة الحديثة شكلا نمطا جديدا بالنسبة لنسق العلاقات داخل الأسرة(٦) .

فقد بدأت انماط جديدة من السلوك فى الظهور بين افراد الأسرة منها المساواة ، والحرية ، والمشاركة فى سلطة اتخاذ القرار ، واصبحت المسئولية جماعية بين الرجل والمرأة ـ وبخاصة بعد خروج المرأة للعمل(٧) . لتشارك فى عمليات الانتاج داخل المجتمع ، مما جعلها تدر دخلا مضافا لأفراد اسرتها ، غير أن عمل المرأة نتج عنه الكثير من المشاكل الأسرية ، لأنها بدأت تقوم بعدد من الأدوار المتعارضة أحيانا ، ففقدت بذلك دورها التقليدى داخل الأسرة ، وبخاصة تربية وتنشئة أبنائها ، حيث بدأت تستبدل دورها هذا باللجوء الى الحضانة او المربيات ، أو باسناد مهمة تربية الأبناء الى أم الزوج أو أم الزوجة ،

---

(٥) Good, william, World Revolution and Family Patterrs London, The free press 1963.p. 1.

(٦) C. E. Ramsey and L. Nelson, change of Values and Attitudes toward the Family., in American Sociological Review Vol. 21, 1956 p.p. 605 - 607.

(٧) Joy Hendry : Marriage in changing Japan st, Martine, Press, N.Y. 1981 p. 92.

مما قلل من دور الأم العاملة فى تربية وتنشـــئة الأبناء التربية الصحيحة والسليمة ، وتبدل أيضـا دور الآباء ، فبعد أن كان دورهم ثانويا فيما يخص رعاية الأبناء ، زاد هـذا الدور كثيرا أو قليلا ، الا أنه لم يستطع أن يعوض دور الأم المفقود(٨) .

وفى أحيان أخرى يظل دور الأب ثانويا ودور الأم ثانوى أيضا ـ وذلك بفعل المتغيرات الاقتصادية داخل المجتمع ، فلان الاثنين يعملان ـ فان الأبناء لا يجدون من يقوم بدوره فى تنشئتهم وتربيتهم بالطريقـــة التى تكفل لهم الاحســاس بالرعاية .

وعلى الرغم من كل المتغيرات والظروف الجديدة التى أحاطت بالأسرة ، الا أنها ما زالت هى المؤسســة الأولى التى يبدأ الطفـل فيها تعليمه الأول ، هـذا التعليم الجـوهرى الذى تنطبع آثاره على كل مرحلة لاحقـة من مراحل حيـاته ، فقـد ظلت الأسرة هى المسـئولة عن تكوين نمط شـخصية الفرد ، وهو الاطار العام الذى يغطى جميـــع الأدوار الاجتماعيـة المختلفة ، التى يلعبها الفرد على مسرح الحيـاة ، وهى الأسـاس الذى يحيط باسـتجابات الفرد المختلفة تجاه بيئته التى يعيش فيها ، كما أنها مسـئولة عن تكوين أخلاقيـات الفرد بوجه عام .

ويجمع أغلب الباحثين على أن الأسرة المتصدعة لها تأثيرها على حيـاة الفرد وتكوين اتجاهاته المختلفة(٩) .

وقد قســم بارنز وتيتر(Barnes Teetres) الأسرة المتصـــدعة الى قسـمين :

- قسـم متصدع نفسـيا .
- قسـم متصدع بنائيا .

---

(٨) Panela Daniels kathey weingrtenor Later Company London1982 p. 135.

(٩) عدنان الدورى ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامى ، مرجع سـابق ص ٢٩٠

ويوصف البيت المتصدع نفسيا ، بأنه الذى يسود فيه الطغيان ، وهو البيت الذى يقيم فيه الوالدين بأجسادهما وبينهما خلافات مستمرة ، وهو أيضا الذى يقل فيه احترام حقوق الأفراد ويسود فيه الظلم والاستبداد ، أو يتخذ فيه الأب : الدور التقليدى للأبوة ، وتضطر فيه الزوجة وأطفالها الى اتخاذ المواقف السلبية ، ولا يشعر فيه الأبناء بالانتماء .

أما التصدع البنائى أو الفيزيقى : فهو الذى يتشأ عن غياب أحد الوالدين ، أو كليهما ، سواء بالموت أو الطلاق ، أو عن هجر أحد الزوجين للآخر(١٠) . أو بانشغال أحد الزوجين بالعمل بحيث لا يستطيع الاشراف على تربية الأبناء .

وتؤكد معظم الدراسات : أن الأبناء الذين يعيشون فى أسر متصدعة يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية أكثر ممن يعيشون فى أسر سوية .

ويرى الباحثون أن هناك نموذجا واضحا للأسرة التى يترعرع فيها متعاطو المخدرات ، ويكون من صفات هذه الأسرة : عدم الاستقرار فى العلاقات الزوجية ، وارتفاع نسبة الهجر ، كما أن الأسلوب الخاطىء الذى تقوم به بعض الأسر فى تربية وتنشئة أبنائها قد نتج عنه أن الأطفال الذين تحولوا الى تعاطى المخدرات كانوا حوالى ٥٠٪ من الشباب المتشرد ، وأن ٨٠٪ من الشباب الذين يتعاطون المخدرات ـ برغم أنهم لم يتركوا منازلهم ـ ولكنهم يعانون من الجو السىء داخل أسرهم . ومن المعروف أن كثيرين من الأحداث والمنحرفين يلجئون الى السرقة وتعاطى المخدرات ، وبخاصة عندما تتلقفهم عصابات الشوارع .

ويعتبر الطلاق من العوامل المسببة للتصدع الأسرى ، وجنوح

(١٠) Barnes, Teeters, New Horizons incriminology 3 ed. U. S. A. 1959 p. 181.

الأحداث ، لأنه بالنسبة للحدث : حرمان من عطف أحد الوالدين أو كليهما وكذلك الحرمان من الرقابة والتوجيه والارشاد السليم ، وقد ثبت من الدراسات التى أجريت فى المجتمع المصرى أن ٤٩٪ من متعاطى المخدرات ينتمون الى أسر مفككة .

ومن أهم عوامل تعاطى المخدرات كذلك ، تعاطى أحد أفراد الأسرة للمخدرات أو العقاقير الخطرة ، وقد ثبت أن هناك ارتباطا وثيقا بين تعاطى المخدرات ووجود اب متعاطى ، وكثيرا ما نجد الآباء المدمنين يشركون ابناءهم فى تحضير جلسة التعاطى ، مما يشجع الأبناء على التعاطى .

وتؤثر الرقابة الأسرية ، وبخاصة رقابة الأب على انحراف الشباب نحو تعاطى المخدرات ، لأنها تقلل من فرص احتكاكهم بالجماعات المنحرفة ، كما تساهم فى توجيههم وارشادهم ، لأنه من الملاحظ أن تعاطى المخدرات ينتشر بين أوساط الشباب الذين تكون رقابة الوالدين ضعيفة عليهم أو معدومة . وقد كشفت العديد من الدراسات ان تعاطى الهيروين يزداد بين الأبناء فى حالة تغيب الأب بنسبة ١٢٪(١١) .

والخلفية الاجتماعية للشباب الذين يدمنون المخدرات لم تحظ بالاهتمام الكافى ، واذا كان الشباب الذين ينتمون الى اسر مفككة ، بغياب الأب اما جزئيا بعدم قيامه بدوره الأسرى أو نهائيا بالموت ، أو بالانفصال عن الأم ، فان للأم دورها ايضا فى هذا المجال ، لأن الأم حينئذ تكون امرأة تعانى من التعاسة الشديدة ويكون لديها مشاعر عدوانية ، أو مشاعر بالكراهية حيال ابنائها ، وتنزع الى بسط نفوذها ، والسيطرة ، وفرض الوصاية والحماية عليهم ، بأكثر مما يلزم ، وتكون هذه العوامل سببا اخر من أسباب انحراف الأبناء واتجاههم لتعاطى المخدرات(١٢) .

---

(١١) عبد الرحمن مصيقر ، الشباب والمخدرات ، مرجع سابق ، ص ٦٧ ، ٦٩

(١٢) عباس محمود عوض ، فى علم النفس الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٢٦١

واذا كان تدهور العلاقات الأسرية ، وسوء الأحوال المعيشية سببا من أسباب تعاطى المخدرات ، فان ادمان المخدرات ، عندما يستمر يزيد من تشويه الأسرة ويبعثرها .

ففى اليابان ، تشير تقديرات الشرطة : الى أن ربات البيوت ، يدفعن بمعدل عشرين دولارا فى اليوم للحصول على رزمة صغيرة ، تحتوى على ثلث جرام من المخدرات وهناك ربات بيوت ثريات تدفع الواحدة منهن مائة دولار فى اليوم مقابل الحصول على أربع أو خمس جرعات ، وأخطر ما يواجه المجتمع اليابانى الآن : أن ربات البيوت الشابات يلجأن الى الدعارة ، لتغطية نفقات ما يتعاطونه من مخدرات ، يرتفع ثمنها بين الحين والآخر ، مما يؤدى الى مزيد من الانهيارات العائلية بسبب المخدرات(١٣) .

وفى مصر فرضت الضائقة الاقتصادية ، على ما يزيد على خمسة ملايين مصرى ترك بلادهم للعمل فى البلاد العربية والأجنبية ، واكثرية هذا العدد الضخم من المصريين ، يتركون اولادهم واسرهم فى مصر ، اما لعدم توافق مناهج التعليم فى البلاد التى يعملون بها مع مناهج التعليم المصرية ، او بسبب قلة دخلهم هناك مما يجعلهم غير قادرين على أن يصبحوا مع أسرهم ، وفى نهاية المطاف ، تحولت ملايين الأسر المصرية الى العيش بدون أب ، واذا كان الغياب الجزئى او الكلى للأب يعتبر سببا هاما من أسباب تعاطى المخدرات ، فان الذين يتركون أسرهم وراءهم ، ينسحب عليهم هذا المعنى أيضا ، ولكن باضافة أخرى هى : أن تأنيث هذه الملايين من الأسر ، يدفع بأبنائها أيضا الى التعاطى ، والتأنيث هنا بمعنى : أن تكون الأم مسئولة مسئولية مباشرة عن أبنائها ، وتكون وحدها ملزمة باتخاذ القرارات الخاصة بالأبناء ، ويكون ذلك صعبا للغاية ، وبخاصة عندما يكون الأبناء ، شبابا وشابات ، بما هو معروف عن هذه المرحلة العمرية ،

---

(١٣) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، مرجع سابق ، ص ٢١٥

من تمرد وجموح ، اضـــف الى ذلك : أن الذين يعملون فى الخارج ، يحاولون أن يمدوا أسرهم بمزيد من المـــال ، مما يشـــعر الأبناء بالتفوق فى البداية على أقرانهم وجيرانهم وصداقاتهم وجماعتهم القرابية ، ممن لا يعمل أحـد لهم فى الخارج ، من خلال توفر الكثير من المـال بين ايديهم ، ولكن هـذا التفوق المبدئى ، يتحول بعـد ذلك الى أنواع متعددة من اللهو ، ثم الى المخدرات ٠

فكما ان الأسرة المتحدة التى تظللها رايات التوافـــق ، وعـــدم الاختلاف ، تؤثر ايجابيـا على سـلوكيات أبنائها ، فان الأسر المتحللة أو المتصدعة تؤثر سـلبيا على أبنائها ، ومن الضرورى القول أن من المفيد توعيـة الآباء بنوع التربية التى يجب عليهم أن يقدمونها لأبنائهم فى سن المراهقـة ، لأن التعامل مع هـــذا الســـن يختلف عن تعاملهم معهم وهم فى ســن الطفولة ، وتبصير الآباء بالنتائج الوخيمة التى تنتج عن تمرد هؤلاء الأبناء فى هـذه المرحلة من العمر ٠ فلا الشـــدة والقسوة المتناهية ، ولا التدليـل المفرط ، يسـاعدان الأبناء فى اجتياز المراحل الخطرة من أعمارهم ، والتى يكونون معرضين فيها الى ذلك النوع من الفراغ العاطفى والوجدانى ، الذى يقودهم فى أحيـان كثيرة الى الفراغ والملل ، ثم صحبة الســـوء ، فأوكار المخدرات ، وعلى الآباء أن يدركوا : أن المدمن يتعاطى المخدرات ، حتى يريح نفســـه من عنـاء وتوتر داخلى يسببه له شـعور خفى بالكراهيـة ، أو الرغبـة فى الاعتـــداء على الغير ، أو الانتقام منـه ٠

وعلينـا الاعتراف بأن فسـاد نظام الأسرة ، يرجع فى الغـالب الى عـدم مبالاة الآباء ، أو اهمالهم ، ففى كثير من الأسر لا يبذل الآباء جهدا كافيـا فى سـبيل تهذيب أبنائهم والاشراف عليهم ، وبمجرد أن يصبح الأبناء قادرين بدنيـا على الاعتماد على أنفســهم فانهم يتركونهم وشـــأنهم دون رقابة أو توجيه ٠

ونتيجة لذلك يجد الأبناء أنفســهم على اتصال بأشخاص خارج المنزل ، يكونون فى الغالب على صلة بعالم المخدرات ٠ وهـذا الاهمال

من الآباء فى تربية أبنائهم يكون نتيجة لأن الآباء انفسهم ربما يكونوا مدمنين . فيقتدى بهم أبناؤهم(١٤) .

وتشكل المخدرات عبئا اقتصاديا كبيرا على دخل الأسرة ، حيث ينفق رب الأسرة الجزء الأكبر من دخله عليها ، وبخاصة عندما يكون مدمنا ، ولعل السموم البيضاء مثل الكوكايين والهيروين تمثل أعلى خطورة على دخل الأسرة ، وذلك لارتفاع ثمنها ، وصعوبة الحصول عليها أحيانا ، وتنسحب هذه الخطورة على الحالة المعيشية العامة للأسرة ، من ناحية السكن والغذاء والصحة والتعليم والأخلاق والترفيه ، اذ لا يستطيع أفراد الأسرة الحصول على الاحتياجات الضرورية ، مما يضطر الأم والأبناء الى البحث عن عمل ، وقد يكون هذا العمل من الأعمال غير المشروعة ، مثل التسول أو السرقة أو الدعارة .

ومتعاطى المخدرات ، لا يقدر المسئولية ، ويهمل واجباته الأساسية ، ولهذا نجده يقدم النموذج والمثل السيء لأولاده ، فلا ينشأ لديهم شعور بالمسئولية حيال أسرهم فى المستقبل(١٥) . كما أن كثيرا من عادات المدمن ، تعتبر مرفوضة من بقية أعضاء أسرته ، فقد يتجمع عدد من المتعاطين فى منزله ، وقد يسهرون الى ساعة متأخرة ، مما يثير الخوف والقلق فى أسرة المتعاطى خشية مهاجمة المنزل لضبط المخدرات والمتعاطين .

وقد تبين أن نسبة كبيرة من متعاطى المخدرات ، نشأوا فى أسر كان الآباء أو الاخوة الكبار يتعاطون المخدرات ، مما أثر عليهم وعلى سلوكهم الشاذ فيما بعد .

وتعانى مصر حاليا من ارتفاع نسبة الطلاق فيها لعدة عوامل ، أبرزها فى الوقت الحاضر ، ذلك التغير الثقافى الذى يمر به المجتمع ،

---

(١٤) عمر السعيد رمضان ، دروس فى علم الاجرام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١١١

(١٥) سلسلة كتب مركز ابحاث الجريمة ، المخدرات والعقاقير المخدرة ، مرجع سابق ، ص ١٩٤

وبدرجة سريعة ، وما صاحب هـذا التغير من تزلزل فى القيم القديمـة مع عـدم وضوح قيم جديدة لم تتبلور بعـد لتحل محلها ، ولا شك ان التكافؤ بين الزوجين يتبعه ضرورة تقبل كل منهما للآخر ولأهله وأصدقائه ، بالاضـافة الى معرفة المرأة لدورها فى ثقافتها ، وفى العلاقة الزوجيـة ، وطبيعة نشـــأة كل من الزوج والزوجة فى بيت لم تهدده الخـــلافات الزوجيـة ، أو الموت ، أو الطلاق ، أو تناول المخدرات ، لأن الآباء يضربون لأبنائهم المثـــل على ما ستكون عليه حيـــاتهم الزوجيـــة فى المســـتقبل(١٦) .

كثيرة هى تلك العوامل التى تســـاعد على ايجاد الخلل فى الأسرة وتحرمها من تادية وظيفتها الاجتماعيـة ، مما يدفع أعضـاءها الى الهروب من جحيمها الى عالم المخدرات والادمان .

* * *

التغير الاجتماعى والقيم

تلحق بالقيم ســـمات تاريخية ، وتعتريها ملامح تغيرية وتطورية تفترض التقدم ، وتأخـــذ بحركة التطور التاريخى ، حين يرتقى الانسان مع التقدم العلمى .

ويعتبر التغير بديهية أسـاسـية فى الحياة ، اذ أنه من اهم العناصر الأسـاسية فى حيـاة المجتمعات ، حيث عبر بالانسـانية من الحياة البدائية التى كانت تتسـم بالبسـاطة المتناهيـة ، الى حيـاة الآلات الألكترونية المعقدة ، ومن المجتمعات الوحيـدة النظام الى المجتمعات المتعـــددة النظم ، بالاضـافة الى التعقيـد فى تركيب كل مجتمع عن الآخر .

والواقع أن كل المجتمعات الحديثة قـد تعرضت لمجموعة أحداث

---

(١٦) سعد جلال ، فى الصحة العقلية ، مكتبة المعارف الحديثة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٤٩١

كان لها تأثيرها فى ابراز التغير الاجتماعى ، الذى كان له تأثيره الواضح على البناء الاجتماعى للمجتمعات ، وبخاصة على نسق القيم(١٧) .

ويلاحظ أن كل نسق اجتماعى يعتمد على ظروف معينة ، فاذا ما تغيرت هذه الظروف ، تغير النسق ، ولذلك كان التغير فى نسق القيم استجابة لظروف متغيرة .

ويرى ريشر (Rescher) أن هناك عدة مسببات تؤدى الى التغير فى القيم مباشرة وهى :

١ ـ تغير قيمى ناتج عن تغير المعلومات ، ويرجع ذلك أساسا الى طابع معرفى بحت .

٢ ـ تغير قيمى ناتج عن تغير ايديولوجى وسياسى ، ينجم عنه تغيير أساسى فى قيم المجتمع .

٣ ـ زوال بعض القيم التى تخص أقلية من الأفراد داخل المجتمع ، والذى يحدث نتيجة لبعض الظروف الخاصة(١٨) .

٤ ـ تغير قيمى نتيجة لبعض التغيرات البيئية فى المجتمع ، ويحدث تأثرا فعالا فى النواحى الثقافية والديموجرافية والاقتصادية والتكنولوجية ، ويكون له تأثيره الفعال فى حياة المجتمع(١٩) .

وكان تغير القيم والأخلاق فى المجتمع من وجهة نظر « ماركس Marx » يرجع الى تغير فى أسلوب الانتاج ، وقدم نموذجا عاما

---

(١٧) محمد فؤاد حجازى ، التغير الاجتماعى ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٣٣

(١٨) Resher, Nicholas; Introduction to value Theory, New Jersey, Prentice Hall Inc Englwood cliff, 1969. pp. 116 - 118

(١٩) Parsons. T. Edward Shills Toward; « A General Theory of action » Cambridg, Harvard university 1967. p. 88.

لتطور المجتمعات الانسانية ، وارجعها الى الظروف المادية للحياة ، واعتبر ان الأسلوب الاقتصادى السائد فى الانتاج والتبادل ، يشكل فى كل حقبة تاريخية معينة المتغير الرئيسى الذى يتحكم فى استقرار وتغيير المجتمع ، ويرى أن القوة المادية للانتاج خاضعة للتغير والتناقض ، ومن ثم ينشأ الصراع بين ما هو قديم وما هو جديد ، لأن النظام القديم له ايديولوجيته ومصالحه ، التى تختلف عن التصورات الفكرية المنبثقة عن النظام الجديد(٢٠) .

وهكذا فان « ماركس Marx » اعتبر المادية سببا رئيسيا فى تغير المجتمع وانساقه القيمية .

ويختلف « ماكس فيبر Max Weber » مع « كارل ماركس » ، حيث يضع القضية على نحو مخالف ، ويتضح ذلك من خلال دراسته عن الأخلاق البروتستانتينية والروح الرأسمالية ، حيث ركز اهتمامه على تاثير أفكار دينية معينة على تطور الجوانب الاقتصادية ، وحاول الربط بين الحياة الاقتصادية الحديثة فى العالم الغربى ، وبين الأخلاق البروتستانتينية . ويرى أن الرأسمالية قد وجدت فى مدنيات وعصور مختلفة ، فقد وجدت وثائق تدل على وجودها فى الصين والهند وبابل ومصر ، كما وجدت فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وأكد على أن الرأسمالية التى طورها العالم الغربى مختلفة تماما فى نمطها واتجاهاتها عن تلك التى شهدتها المناطق الأخرى ، والمراحل التاريخية المختلفة ، اذ تتميز بالتنظيم الرشيد الذى يؤدى الى تبنى الانسان لأنماط معينة من السلوك الفعلى الرشيد ، فاذا ما وقفت أمام هذه الأساليب عقبات روحية (دينية) فان تطور الأسلوب الاقتصادى سوف يواجه عقبات خطيرة(٢١) .

---

(٢٠) محمد فؤاد حجازى ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٣٧

(٢١) Max Weber ; The Protestant Ethic and the Spirit. of Capitalism trans, by T. Parsons London George , Allen unwin Ltd. 1958 pp. 15 - 29.

ويرى فيبر أهمية ارتباط النســـق الاقتصادى بالقيم الدينية ، وتاثير هــذه القيم على البناء الاجتماعى ، ودور القيمة الدينية كقوة اجتماعية فى الأوضــاع الاقتصــادية والاجتماعية والثقافيــة(٢٢) .

وبهذا يكون قــد اعطى للعامل الدينى اهمية كبيرة ، واكد على أن المعتقدات الدينية : هى القوى الدافعة للتغير الاجتماعى الذى يقوم بدوره باحداث تغير فى الحياة الاجتماعيــة .

ويرى « وليم اوجبرن Ogburn » أن حدوث تغير تكنولوجى فى البيئة المــادية ، لا بد وان يصــاحبه تغيير فى انســـاق القيم والعادات والأنظمة الاجتماعية للمجتمع ، وقــد ركز اهتمامه بصــفة خاصـــة على معدلات التغيير التى تحدث فى قطاعات مختلفة من الحيــاة الاجتماعية ، وخاصــة فيما يتعلق بالتغير العلمى والتكنولوجى من جهــة ، والتغير فى النظم العائليــة والدينيــة والخلقيــة من جهة أخرى ، ومدى انعكاس ذلك على القيم والمعتقدات والأوضاع المجتمعية(٢٣) .

ولهذا فان كل تغير يحدث داخل المجتمع يؤثر بصــورة فعالة فى أســاليب التفكير ، وقوالب العمل والســلوك والنظم الاجتماعيــة القائمة فى المجتمع ، وقــد تتغير انســـاق القيم عن طريق تجميع بعض العناصر ، وفقدان بعض العناصر القديمة اثناء عملية التغير ، الا انه فى احيــان كثيرة قــد تستمر الأنســاق القديمة جنبا الى جنب مع الأنســاق الجديدة ، مع اختلاف انماط الســيادة لأى منهما(٢٤) .

وبشكل عام فان القيم التى تســـود او تسيطر هى التى تعبر عن الأفكار العامة للمجتمع ، والتى تشــمل عادة طبيعة البيئـــة ، وعلاقة

---

(٢٢) محمد أحمد بيومى ، علم اجتماع القيم ، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣

(٢٣) سمير نعيم ، النظرية فى علم الاجتماع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ ، ص ١٠١

(٢٤) R. M. Maciver, Charles Page, « Society An Introductary Analysis » , London, Macmillan 1961. pp. 515 - 516.

الانسـان بها وبزملائه ، ومن ثم فان هـذه القيم توجـد فى المؤسسـات الاجتماعية القـائمة فى المجتمع ، مثـل الحكومة والأسرة والدين ، فكل من هذه المؤسسـات تشتمل على بعض القيم الاجتماعيـة الهامة ، التى تعمل على حفظ الأمن والاستقرار داخل المجتمع(٢٥) .

وبناء على ذلك فان القيم تتطور وتتغير نتيجة للتفاعل المستمر بين الفرد والبيئـة التى يعيش فيها ، فهى مرتبطـة بحاجات الفرد الأسـاسـية ، وتختلف وسـيلة التعبير عن هـذه الحاجات باختلاف ظروف البيئة وامكانياتها ، وتظل القيمة صـالحة ، ووظيفيـة ما دامت تناسب ظروف البيئة ، وترتبط ببعض حاجاتها ، فاذا اختلفت البيئة أو تطورت ، أصبحت القيمة بذلك تؤدى وظيفة اجتماعيـة ، ولا تخدم حاجة من حاجات الأفراد ، أو على الأقل تنقص كفاءتها فى هـذا الأداء ، وذلك لظهور قيم جديدة ، حلت محل القيم السـابقة ، وهـذه القيم الجديدة ، تنشـأ مع الحاجات الجديدة التى جلبها التغير الذى طرأ على المجتمع(٢٦) .

وتعتبر ثقافة كل مجتمع المنـاخ الاجتماعى الذى يكون للأفـراد والجماعات والاتجاهات ، وجهة نظر خاصـة تجاه تعاطى المخدرات . وتكمن أهميـة ذلك عنـدما نرى رأى جماعات دينية مختلفـة لكى نحدد كيف يبرز الصراع الثقافى بين مناخ عام يرفضـه ، ولكن أفرادا يتعاطونه ، وبين مناخ عام يؤيده ، وأفرادا يتعاطونه أيضـا ، ولكن بغير صراع ثقافى .

فالكنيسـة الكاثوليكية مثلا ، تعتبر أن الخمر هبة من الله وتعود الكاثوليك أن يتناولوا الخمر على الطعام ومن ثم فلا صراع داخلى بين المتعاطى وثقافته السـائدة .

---

(٢٥) Chitambar, J. B; « Introductary Rural Sociology » wiley, New Delhi, 1973. p. 256.

(٢٦) رالف بيلز ، مقدمة فى الأنثروبولوجيـا العامة ، ترجمـة محمد الجوهرى وآخرين ، الجزء الأول ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٧٣

واذا نظرنا الى اليهود ، فان تعاطى الخمور اكتسب عندهم منذ قديم الزمن معنى اجتماعيا ، اذ ان له رمزا دينيا ، ويسهم فى تحقيق التواصل بين اليهود ، كما انه لا يعتبر من وجهة نظرهم اداة للشيطان بل هبة من الله يجب الاستفادة منها(٢٧) .

اما ثقافة المسلمين ، فانها حسمت موقف الأفراد والجماعات تجاه تعاطى الخمور ، اذ ان المنع جاء قاطعا .

غير ان ثقافة المسلمين تتعرض فى هذا الاطار الى انواع متعددة من التغير ، فاحتكاك هذه الثقافة الرافضة للخمور ، بثقافة الغرب المؤيدة لتعاطى الخمور ، جعل الذين يتعاطون الخمور والمخدرات ايضا هم اولئك الذين احتكوا كثير بالثقافة الغربية .

غير ان ثقافة الغرب ليست خمورا فقط ، ولكنها ايضا تقنية متقدمة ومجتمعات حديثة ، وحضارة قوية ومسيطرة ، بكل انواع الانتاج الصناعى والزراعى والثقافى الذى تسيطر به على العالم الآن ، وتمثل النموذج الحضارى الغربى ، والافتتان به ، على انه هو الأفضل ، يجر المنبهرين ايضا الى استكمال صورة التحضر بتعاطى الخمر ، ومن ثم المخدرات . وتكمن المسألة هنا فى ان صراع الثقافات فى ضمير الانسان ، يجعله اما متمسكا بالقيم الدينية والاجتماعية التى تمنعه من تعاطى الخمور والمخدرات ، او انه يتشبه « بالمتقدمين » وامراضهم الاجتماعية فيقبل على الخمور والمخدرات .

وعندما تتحلل قيمة معينة داخل الفرد ، فان ذلك يفتح الباب واسعا للتحلل من سيطرة قيم اخرى كانت قوية وثابتة فى داخله ، فمجرد اقباله على الخمر والمخدرات ، كنوع من انواع التحضر ، يقوده الى التحلل من قيمة الحلال والحرام ايضا ، ليس بوصفه خارجا على الاجماع العام ، ولكن بوصفه رجلا متحضرا ، وهنا تكمن المشكلة فى تحلل قيم اخرى

---

(٢٧) صلاح عبد المتعال ، التغير الاجتماعى والجريمة فى المجتمعات العربية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٧

نتيجة للتغير الذى أحدثته عملية الاحتكاك الثقافى والاقتصادى بالمجتمعات الغربيـة ٠

واذا كان المجتمع المصرى يضج بالشـــكوى من مشـــكلة تعاطى المخدرات والادمان والآثار الاجتماعية والنفسـية الناجمة عن ذلك ، فان القضـية كلها تتعلق بالصراع بين قيم ثقافيـة مزدوجة ومتضادة ، هى قيم رفض التعاطى ، وهى قيم أصولية ثابتة فى مصر وأخرى تحبـذ التعاطى ، وهى قيم الحضارة الغربية بكل أمراضها الاجتماعية المعروفة ٠

وصراع الثقافات فى اطار التغير الاجتماعى ، يتشـكل عبر عـدة أسـاليب وأهداف ، تؤدى فى النهاية الى خلل فى سـلم القيم الاجتماعية الثابتة ٠ والتغير الثقافى ، الذى يصـاحب ، بدرجة أو بأخرى ، التغير الاجتماعى هو الذى يتناول كافة التغيرات التى تلحق بالأعراف والعادات الاجتماعيـــة ، والتى تؤدى الى تغير حجم وتركيب ووظائف النظم الاجتماعية القائمـــة ، أو تلك التى تتناول التركيب الطبقى للأفراد ، ومستويات دخولهم ، ومنزلتهم الاجتماعية ، أو كل ما يلحق به من تغييرات فى أسـاليب المعرفة العلمية ووسـائل تقنيتها ، وكل ما يلحق بوظائف الأسرة ، أو بعض أجزاء النظام الاجتماعى العام(٢٨) ٠

ومن المعروف أن صراع الثقافات قد أخـذ أشـكالا متنوعة ، أولهـا كلى ، والآخر جزئى ٠٠

بمعنى أن الثقافة الغربية ، كانت ثقافة غالبة فى عصر السـيطرة الاستعمارية ، والثقافة العربيـة الاسـلامية ، كانت ثقافة مغلوبة ، وهذا ما نعنيه بالصراع الكلى ، وقـد أتاح هـذا للثقافة الغالبة فرض سـيطرتها على الثقافة المغلوبة ، ولكنها لم تقو على القضـاء عليها قضـاءا تاما ٠٠ على الرغم من أن الثقافة الغربية اسـتطاعت فى هذه المرحلة تدمير ثقافات وطنيـة متعددة لشـعوب أخرى ، أما الصراع الجزئى : فينحصر

(٢٨) Biesanz, John, Jntroduction to Sociology, Prentice Hiall, Inc, Englewood Cliffs, New Jersey, 1969. p.p. 422 - 430.

فى ترك بصمات هـذه الثقافة الوافدة على عقول الأفراد وطريقة ومنهج تفكيرهم ورؤيتهم للحيـاة والعالم ، وهذا فى حـد ذاته يسـعى الى تغير فى القيم الاجتماعية ، يلغى بعضها ، ويحل اخرى محلها ... وهكذا ، وفى مرحلة الصراع هـذه تتجاذب الأفراد أنواع شـتى من القناعات بهذه القيم أو بتلك ، وبين هـذا وذاك تبقى فجوة غير قليـلة التأثير .. تدخل منها المخدرات ، فتدمر كل شىء !! وصراع الثقافات ليس فقط بين ثقافة غالبة وثقافة مغلوبة ، بل هو صراع داخل الثقافة الواحدة .

كالصراع الذى يجـرى بين ابناء جيلين مختلفين ، فتباين القيـم والمثل وأسـاليب التربية ، والعادات بين جيل الآباء وجيل الأبناء ، يشـكل ارضية خاصـة ، تضاعف من نمو الفرص والاتجاهات والمواقف التى تؤدى الى عـدم التوافق والانسـجام الاجتماعى ، الذى يسـهم بدوره فى تعاطى المخدرات ، او زيادة نسبة المدمنين .

وفى اوقات اخرى ، يأخـذ الصراع بين الأجيال شـكلا مختلفـا ، عنـدما يضعف تأثير الكبار فى نقل قيمهم الى المراهقين والشـباب ، حيث يكون الفرد تحت تأثير أقوى من جانب جماعة قرناء السـن فى بعض المواقف وبالتالى يقل نقل القيم من جيـل لآخر ، خاصـة بعـد حدوث تقدم فى وسـائل الاعلام والاتصـال ، حيث تقدم هـذه الوسائل المسيطرة الى حد ما ، اسس وقواعـد قيم جديدة تتناقض مع القيـم التى يريد الكبار ان يلقنونها للأبناء وبين هـذا وذاك تكون المخدرات ملجئا ولو من قبيل تحدى ارادة وقيم الآباء .

واهتزاز المعايير التى يستوعبها الشـباب ، والهوة الكامنة بين النموذج الذى يتمثله الشـاب والنموذج الذى يواجهه فى الواقع ، وكذلك عـدم توضيح كاف للمثال المحتذى ، او القيم التى يجب ان تراعى ، وكذلك الحرمانات التى يفرضـها البناء الاجتماعى القائم ، وهذا كله يمثل دافعا الى ارتكاب افعال انحرافية(٢٩) . ومنها المخدرات .

---

(٢٩) سيد عويس ، الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، هيئة بحوث الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٦١

ويسبب التغير المفاجىء فى القيم تأثرا يدفع الفرد الى السلوك الانحرافى وتعاطى المخدرات ، كالفرد الحضارى الذى ينتقل من مجتمع صناعى الى مجتمع زراعى أو نامى ، وقد يتغير المجتمع ، ويأخذ شكلا جديدا ، ويتغير أسلوب المعيشة نتيجة للهجرة أو نمط العمل الجديد ، فيقع الفرد صريع القلق والصراعات القيمية ، ويجد فى المخدرات ملجئا للهروب من هذا التغير المفاجىء والغير مناسب لطبيعته ، ونجد أن الحيرة والخلط بين النماذج والتوترات الناتجة تقع فى عدة ظواهر فى المجال الشبابى المصرى (على سبيل المثال) وكلها تشير الى أن ثمة بحث عن نموذج يرغب الشباب تمثله واحتذاءه(٣٠) ان حيرة الشباب بين تغير اجتماعى ، يقدم نماذج قيمية مستحدثة وقيم اجتماعية ثابته ينصح بها الآباء ، ويقرها المجتمع ، دفعت بهؤلاء الشباب الى الحيرة والقلق ، بعضهم حاول التحدى فلجأ الى المخدرات واخرون لم يستطيعوا التوافق ، فانسحبوا ، وهم أيضا لجئوا الى المخدرات . ويظل أثر التغير الاجتماعى ، وما صاحبه من تغير قيمى ، له آثاره الفعالة فى دفع بعض الشباب الى تعاطى وادمان المخدرات .

***

● **التغير والاقتصاد :**

تؤثر الحالة الاقتصادية للأفراد ، على مدى لجوئهم الى تعاطى المخدرات فقد ثبت أن الفقر الشديد ، يقود ، بالهموم المصاحبة له الى المخدرات . وازدياد الأموال فى الأيدى ، والتهاون فى المحافظة عليها ، يدفع بالانسان أيضا الى المخدرات ، ويبدو أن الثراء ، لا يعطى الانسان احساسا بالأمان ، لأنه فى ظل التقدم الصناعى ، واقتصاديات السوق ، يشعر الانسان بالغربة والعجز أيضا عن مسايرة المجتمع ، فيلجأ الى اشباع حاجاته النفسية بطرق غير مشروعة .

---

(٣٠) أحمد عبيد ، المخدرات والمسكرات : أسبابها ومقاومتها فى الاسلام ، المؤتمر الاسلامى العالمى لمكافحة المخدرات والمسكرات ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ١٣٩٩ هـ ، ص ٣٠

وصـــلة التغير الاجتماعى بالاقتصاد تبدو واضحة ، اذ أن النظم الاجتماعية تسـعى من خلال احداث عمليـات التغير الى تلبية حاجات الانسـان فى مختلف مجالات الحيـاة ، كحاجته الى التملك ، والعمـل والانتاج والاسـتهلاك ، وحاجته الى العيش فى مناخ أسرى تتوفر فيـه العلاقات الأوليـة الطيبة ، وحاجته الى الاعتقاد بوجود قوة عليـا تمنحه الطمأنينـة والأمـان ، وحاجته الى الحماية الاجتماعية ، وضمان حقوقه الأسـاسية دون أن يعتـدى عليها انسـان آخر ، وحاجـة الانسـان الى التعبير عن رأيه والمشـاركة فى المسـائل السـياسـية التى تهمه ، وحاجته الى التعليم والاندماج فى الجماعات التى يحيـا فيها متفهما لأســاليبها وانظمتها ، ومتكيفا مع ما تحدده من معايير ٠٠ الخ(٣١) ٠

ان حاجات الانســان هـذه وغيرها كثير وبخاصـــة حاجتـــه الاقتصـادية ، عندما تتوفر لديه ، فبوسـعه أن يكون أكثر بعـــدا عن المخدرات ٠

ولكن المشـكلة تبدأ دائما من خلل يقـوم فى تلبية هـذه الحاجات أو جزء منها ، وبأشـكال متفاوتة ، وبنسب قلت أو كثرت مما يوجـد تشـــوها فى رؤية الانسـان لنفســه ولمجتمعه ، وللمحيطين به ، وعندما يبدأ البحث فى نوع هـذا الخلل أو تأثيره ، تكون المخدرات على الجانب الآخر ، لكى ينسى بها بعض همومه كما يعتقد ٠

وهى بذلك تعينه على الهروب المؤقت من مشكلاته وهمومه ـ وقـد يجـد الفرد نفســه منذ صغره ، وقبـل أن يكتمل نموه وينضج فكره ـ مطالبـا بالعمل لاعالة نفســه ، وقـد يتناول أجرا ضـئيلا لا يكاد يكفى مطالبه الأسـاسـية ، وقـد يعجز شـخص آخر عن الوفاء بالتزاماته المعيشـــية تجاه أفراد أسرته ، ويفقد الأمل فى تحسـين مركزه المـالى ، فيداخله الشـعور بأنه دون أقرانه وجيرانه ، فيحاول أن يحقق فى الخيال

---

(٣١) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، القـاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧ ، ص ٣٤٦

ما فقده فى الواقع ، ومن ثم يبدأ أول خطوة فى هـذا الطريق ، وهو اللجوء الى احـدى المواد المخدرة ، وهو لا يدرى أنه بذلك انما يزيد همومه وأعباؤه المـالية ، ويضيف مشـكلات جديدة الى المجتمع(٣٢) .

هذا بالنسـبة للعوز والفقر ، فماذا عن الثراء ؟

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكيـة ، من أغنى بلاد العـالم ، ومع ذلك تقول الاحصائيات : أن نسـبة المدخنين لحشيش (المـارجوانا) من البالغين من سـن ١٨ ـ ٢٥ سـنة عام ١٩٦٢ فى الولايات المتحدة كانت لا تتجاوز ٤٪ من سـكان المجتمع الأمريكى ، ووصلت الى ٦٤٪ عام ١٩٨٢

وبالنسبة لمن تعاطوا الكوكايين فى الفترة نفسـها زادت من نصف مليون الى ٢٢ مليونا لمن زادت أعمارهم عن ٢٦ عاما . كمـا ورد فى الاحصائيات الأمريكية أن ٣٢٪ من حجم القوى العاملة الأمريكية تتعاطى المخدرات المختلفة (هذا بخلاف من يعاقرون الخمر) وأن حجم تجارة الهـيروين ، والكوكايين ، والمـارجـوانا (الحشـيش) تزيد على ٩٠ر٠٠٠ مليون دولار(٣٣) .

* * *

فالفقر ورتابة الحيـاة المصـاحبة له سـببا من أسـباب التعاطى ، والثراء الناتج عن الحيـاة الحديثة المعقدة ، دفع بالانسـان ، من خـلال العرض والطلب ، واقتصـاديات السـوق التى لا ترحم ، الى مجرد ترس فى آلة التقدم التكنولوجية المتقـدمة ، فتآكلت مشـاعره الانسـانية ، وانزوت كل العواطف البشرية أمـام رغبـات السـيطرة والطمـوح ، وكانت المخدرات بكل أنواعها وسـيلة الهروب . وفى المجتمعات الحديثة النمو ، تتضافر عوامل اقتصـادية أخرى ، فى دفع الأفراد الى طريق المخـدرات .

---

(٣٢) حسن فتح الباب ، سمير عياد ، المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦

(٣٣) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، مرجع سـابق ، ص ٢١٥

ففى مصر أجمعت ثلاث دراسات لكل من معهد التخطيط القومى ، والمجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية ، والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (٣٤) أن هناك (٥٠٠) خمسمائة أسرة فى مصر ، تعدى دخلها فى ظل سنوات الانفتاح الاستهلاكى (١٩٧٤ ـ ١٩٨١) العشرة ملايين جنيه سنويا فى المتوسط ، كما أن هناك ٥٤٠ الف أسرة لا يتجاوز متوسط دخلها السنوى ٣٢٠ جنيها ، وأن الفرق بين أقل أجر أو دخل شهرى ، وأكبر دخل قد وصل الى حوالى ٨٣٤ الف جنيه فى المتوسط ، وبينما تستحوذ ٢٠٪ من الأسر المصرية على ٥٢٪ من الدخل القومى ، فان ٨٠٪ من الأسر المصرية تحصل على ٤٨٪ من هذا الدخل .

ويؤدى هذا الخلل الواضح فى توزيع الثروة الى بروز فئات اجتماعية جديدة ، تتمتع بالثروة والنفوذ ، وتستطيع بالثروة أن تحصل على كل شىء ، مما ساعد على انتشار مشاعر الفردية واللاانتماء ، واختلال المنطق الذى يتحكم فى الثواب والعقاب الاجتماعى ، وقد أوجد هذا التفاوت فى الدخل مشاعر أخرى تتصل بنوع وطريقة الحصول على هذا الدخل الضخم ، ذلك أن الأثرياء يعرفون أن ما يحصلون عليه ليس نتيجة كفاءتهم أو مواهبهم ، ولكنه نتيجة الوساطة أو المحسوبية ، وبالتالى فانهم لا يشعرون بأهمية وجودهم ، تماما كالفقراء الذين يعرفون أنهم فقراء ليس لضعف فى مواهبهم أو لنقص فى كفاءاتهم ، ولكن لأنهم لا يجيدون الوصول الى من بيدهم اثراءهم ، ليس كنتيجة لجهودهم ، ولكن بسبب صلاتهم وهم أيضا يشعرون بعدم أهميتهم ، هنا يتساوى الفقراء والأغنياء فى وقوعهم فريسة سهلة للادمان ، وربما كان الفرق بينهما ، أن الأثرياء يجدون طريقهم الى المخدرات الغالية الثمن ـ السموم البيضاء ـ والفقراء يكتفون بانواع المخدرات الرديئة ، ولكنهم يشتركون جميعا فى

---

(٣٤) عن ملخص لهذه الدراسات الثلاثة صحيفة الشرق الأوسط التى تصدر بالعربية فى لندن ، ١٩٨٦/١٢/٣٠ ، ص ٧

الاحساس بعدم الأهمية ، وعدم الأمان ، والادمان نوع من أنواع الانتحار الاجتماعى وتختلف الطرق الموصلة اليه ، سواء أكانت عربة أو اكتئابا ، أو عدم انتماء أو قلق أو خوف .. الخ .

فالبحث عن الثراء فى حياة اجتماعية ، تغيرت فيها قيمة الانسان ، بما يملكه من مال وليس بما يحسنه من علم أو موهبة ، جعلت الأثرياء يهربون من حياة الرفاهية وما تسببه من فراغ هى الأخرى الى حياة يبحث فيها عن لذات جديدة واقوى تاثيرا هى المخدرات . وكذلك الفقراء ، انغمسوا فى هذه السموم مدخنين وشمامين وحاقنين أنفسهم بها هروبا من واقعهم الاجتماعى المقيت . ولا ينسى الأثرياء أن يضيفوا الى ثرواتهم المزيد عن طريق انتاج وتهريب المخدرات .

والادمان يتطلب انفاق مبالغ كبيرة لشراء المخدر ، ويتوقف هذا على الحالة الاقتصادية للمدمن ، فالشخص الميسور الحال يستطيع شراء المخدرات غالية الثمن ، وذات النقاوة العالية ، بينما يصعب على بعض المدمنين الفقراء أن يوفروا المبلغ اللازم لشراء مثل هذه المخدرات ، ولهذا فانهم يلجئون الى تعاطى مخدرات أرخص ثمنا ، أو يتناولون عدة أنواع من المخدرات للحصول على التاثير المطلوب .

وقد كان لانتشار أنواع المخدرات غالية الثمن ـ السموم البيضاء ـ بين قطاعات الحرفيين سببه الاقتصادى ، ذلك أنهم ومن خلال ارتفاع أسعار ما يقدمونه من خدمات فى مختلف المجالات الحرفية من سباكة ونجارة وأعمال الكهرباء واصلاح السيارات ... الخ جعلهم يدمنون هذه الأنواع من المخدرات ، حيث أصبح التباهى « بالكيف » بينهم سببا من أسباب التفاخر الاجتماعى .

ان بروز فئات الحرفيين بمختلف أنشطتها ومكانتها الاقتصادية ، المتنامية ساعد على قلب موازين المكانة الاجتماعية حيث أصبح الحصول على الشهادة الجامعية ، لا يعنى تقدما اقتصاديا

واجتماعيا للفرد ، بقدر ما يعنى انضمامه لصفوف العاطلين عن العمل ، وحتى اذا صدر قرار بتعيينه من مكاتب القوى العاملة ، فانه يضعه دائما فى المكان الذى لا يصلح له . حيث يمثل عالة على « العمل المنتج » فى قطاع الانتاج والخدمات .

وتوظيف الخريجين فى أعمال غير منتجة ، وفى غير تخصصاتهم ، تدفعهم وهم فى سن الشباب أيضا الى ممارسة الفراغ العقلى والنفسى ، والبحث عما ينسيهم آلامهم الداخلية . وبطرق خفية ملفوفة بالخوف والرهبة من حاضرهم ومستقبلهم المجهول .

والواقع أنه لا تتوافر دراسة علمية دقيقة ورصينة تثبت ما تردد فى الصحف المصرية عام ١٩٨٧ من أن يوم العمل الفعلى ، لا يتجاوز نصف ساعة عمل للعامل المصرى ، بيد أن ضعف انضباط العمل فى مصر ، أمر تدل عليه العديد من المشاهدات ، ويشمل مختلف فئات العاملين بالادارة والانتاج ويغطى كافة الأنشطة الاقتصادية ، وقد تفاقم هذا مع انتشار الوظائف الثانية ، والتهرب من العمل ، ويتصل هذا كله بزيادة أعداد العاملين ، مقارنة بساعات العمل الضرورية للانتاج ، وبقصور عملية التدريب ، وبنشوة نظام حوافز العمل ، وغياب معايير الأداء(٣٥) .

واذا ما أخذنا ظاهرة الهروب من العمل ، وغياب معايير الأداء ، كمثل على معاناة الذين يعرفون أنهم يعملون رسميا ، ولا يعملون فعليا ، وكأن الراتب الضئيل يمثل معونة اجتماعية يتقاضونها لمجرد تثبيتهم على درجات مالية فى الكادر الحكومى أو غيره فى الوقت الذى تلتهم فيه الأسعار المرتفعة كل ما يحصلون عليه لمجرد أن يستمروا فى حياة بلا هدف . فان احساسهم بالانتماء يضعف ، عندما تضعف قدرتهم بل تعجز عن مجرد الحصول على وحدة سكنية ، بلا مقدم ايجار

---

(٣٥) انظر التقرير الاستراتيجى العربى ، ١٩٨٧ ، القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ـ القسم الرابع ـ الاقتصاد القومى ، ١٩٨٨ من ص ٤٣٧ الى ص ٤٦٤

أو خلو أو عن طريق التمليك الذى وصل الى اكثر من ٥٠ الفا من الجنيهات . وصعوبة الحصول على سكن ، يؤدى بالضرورة الى تأجيل سن الزواج بالنسبة للشباب والشابات ، وهو ما يؤدى ليس الى القلق فقط ، ولكنه يؤدى الى ما يشبه الضياع الاجتماعى والانسانى ، بكل أشكاله وأنواعه من اكتئاب واغتراب معنوى وأخلاقى ، وعندما لا يتزوج الشباب فى سن مناسبة فان العلاقات غير الشرعية تزداد انتشارا ، وهذه العلاقات بما يكتنفها من غموض وخوف تقود الى المخدرات .

وتؤكد ملفات وأرقام ـ ادارة مكافحة المخدرات المصرية ـ ان ما يضبط من مخدرات سنويا يساوى حوالى ٢٠٠٠ مليون جنيه . وتقول ان ما يضبط لا يزيد فى العادة عن ١٠٪ مما يدخل البلاد .

وقد ارتفع سعر كيلو الحشيش من ٦٠٠ جنيه عام ١٩٥٢ الى أربعة آلاف جنيه فى يناير ١٩٨٤ ، وارتفع ثمن كيلو الأفيون من (١٥٠٠ جنيه) الى (٣٠ الف جنيه) خلال المدة نفسها ، اى ان الحشيش زاد بنسبة ٦ر٦٦٦٪ والأفيون زاد بنسبة ٨ر٢٠٠٠٪ .

وعلى الرغم من هذه الزيادة الرهيبة ، زاد الطلب أيضا من بداية السبعينات الى أوائل الثمانينات ، بنسبة (٥١٩٪) تقريبا .

وفى حالة مثل حالة الاقتصاد المصرى الذى يعانى من عجز الانتاج والديون ، فان مليارى جنيه يعتبران رقما هائلا ، فهو رقم يساوى قيمة الصادرات السلعية المصرية باستثناء البترول ، ويزيد على دخلنا من السياحة ، وعلى مرتبات العاملين بالقطاع العام ، ويزيد على ما تحصل عليه مصر من معونات ومساعدات عسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية (١٣٩٥ مليون دولار) ويصل الى ما يزيد على ضعف ما تحصل عليه مصر من مساعدات اقتصادية أمريكية(٣٦) ويزيد عن ضعف ما حصلت

---

(٣٦) بلغت ديون مصر ٤٤ مليون دولار فى عام ١٩٨٧ ، وبلغت اعباء فوائد الديون مستويات عالية ، وظهرت بوجه خاص فى الديون الأمريكية=

عليه مصر بصعوبة من البنك الدولى (٧٠٠ مليون دولار) لسد العجز فى ميزان المدفوعات خلال ثلاث سنوات تبدأ من عام ١٩٨٤ ، ويزيد على رقم العجز فى موازنة الدولة(٣٧) ٠

وفى ندوة مكافحة جرائم المخدرات التى أقيمت فى اليابان عام ١٩٨٨ ذكر التقرير الذى قدمته مصر ، أن سوق المخدرات المصرية لا يعتمد فقط على ما يهرب اليها من الخارج ، ولكن توجد بعض الزراعات الخاصة بنبات القنب والخشخاش ، حيث وصلت المساحة المزروعة بهما الى مائتى فدان ، ويتم تسويق انتاج هذه المزارع فى مصر(٣٨) ٠

وزراعة نباتات المخدرات فى مصر التى وصلت الى مائتى فدان ، تعنى ضمن ما تعنيه ، أن الذين يحاولون الثراء ولو على حساب صحة ومستقبل مواطنيهم ، لا يعنيهم سوى الكسب والثراء بغض النظر عن الأضرار الناجمة عن زراعاتهم ، وبدلا من استغلال المائتى فدان فى زراعة المواد الغذائية ، فى بلد يعانى من استيراد الغذاء من الخارج ، تستغل هذه المساحة فى انتاج محاصيل تقلل من انتاج المواطنين وتودى بحياتهم ٠

ويشكل ارتفاع العائد المادى السبب الرئيسى من زراعة النباتات التى تنتج المخدرات ، فاذا ما قورن عائد الفدان الذى تتم زراعته بالمحاصيل التقليدية من قمح أو قطن مثلا نجد الفارق كبيرا بل وضخما ٠٠

= التى مثلت ٥ر٤٥٪ من اجمالى الديون ، فى ذات العام ، وابتلعت الفوائد وحدها ، وبدون اقساط أصل الدين حوالى ٧٩٣ مليون دولار من المساعدات الأمريكية التى قدرت بنحو ٨٢٠ مليون دولار أى أن صافى المساعدات الأمريكية لم يتعد ٤ر٣٪ رغم بقاء أصل الدين ٠ انظر التقرير الاستراتيجى العربى ، الصادر عن الأهرام ـ مرجع سابق ٠

(٣٧) عبد الحكيم عفيفى ، الادمان ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠

(٣٨) على زين العابدين الرفاعى ، ندوة مكافحة المخدرات باليابان ، مرجع سابق ٠

فعائد الفدان المزروع بالحاصلات التقليدية يصل الى نحو مائتى جنيه (٢٠٠ جنيه) ولكن الفدان الذى يزرع بالخشخاش ينتج حوالى (٥ كيلو جرام) ويقدر سعر الكيلو الواحد بمبلغ (٥٠ر٠٠٠ جنيه) وبذلك يصل عائد الفدان من نبات الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون والهيروين الى ما يزيد على (٢٥٠ر٠٠٠ جنيه) بينما ينتج فدان القنب الهندى نحو ٢٠ كيلو جراما من الحشيش ، ويقدر ثمن الكيلو جرام بنحو (٣٠٠٠ جنيه) أى أن عائد الفدان الواحد يصل الى (٦٠ر٠٠٠ جنيه)(٣٩) .

واذا كان الذين لا يجدون مجرد وحدة سكنية يبدأون فيها بناء أسرة جديدة تداهمهم مشاعر الغربة وعدم الانتماء لمجتمع لا يجدون فيه حلا لمشكلاتهم فان زراع المخدرات ، بعد أن فقدوا قيمهم وانتمائهم الوطنى أيضا رأوا فى الحصول على الكسب الحرام سبيلا للثراء ولو على حساب وطنهم ، ولو أن الجميع شعروا بالانتماء للوطن ، وأنهم جزء من مجتمع يحترمهم ويوفر لهم أسباب الحماية والأمن ، يعيشون فيه شركاء لا تابعين . ينمو ويتقدم من أجل حاضرهم ومستقبل أبنائهم ، لما شعروا جميعا بالغربة ، والخلاص الفردى ، فيكون مجتمعهم نظيفا بلا مخدرات ، سواء للمتعاطين أو المهربين أو المنتجين .

ولو كان ثمن ما يستهلكه المجتمع المصرى من مخدرات (٢٠٠٠ مليون جنيه) قد استخدم فى تنمية اقتصادية واجتماعية شاملة لتغير وجه مصر الاقتصادى والاجتماعى ، وما كانت مرهقة ، كما هى الآن بالديون ، وفوائدها ، تلك الديون التى تستورد بها طعامها ، وما كان قد ذهب عنها ما يزيد على خمسة ملايين من أبنائها ، ليقدموا عملهم وخبرتهم المتنوعة لخدمة مجتمعات غير مجتمعهم .

* * *

---

(٣٩) محمود محمد سيف ، محمد مدحت جابر ، مشكلة المخدرات فى مصر والعالم « منظور جغرافى » ، مرجع سابق ، ص ٢١

● وسـائل الاعلام :

يعتبر الاعلام احـد العوامل الهامة فى تشـكيل الحياة الاجتماعية وهو من وسـائل الانسـان لتنظيم وتغيير حياته ونقل اشكالها ومعانيها من جيل الى جيل عن طريق التعبير والتسـجيل والتعليم . وتعتبر برامج التليفزيون والصحافة ، ذات تأثير فعـال على تشـكيل وتكوين الراى العـام(٤٠) .

كما أن وسـائل الاعلام وعمليـة الاتصـال الجماهيرى ، تعتبر من الأنشـطة المتكررة المتكيفة مع النظام الاجتماعى للمجتمع ، حيث تعمل من خلاله فعلا ، وعلاقة التبادل بين وسـائل الاعلام ، والأنظمـة الاجتماعية لا تؤثر فى الحياة اليوميـة للمجتمع فحسب ، بل انها تؤثر فى الطريقة التى يسـتخدم بها الأفراد وسـائل الاعلام ذاتها فى الحيـاة اليومية ، فوسـائل الاتصـال تسـاهم فى التوازن الاجتماعى للمجتمع ، اى ان لها نتائج تنعكس على المجتمع ككل ، ومن ناحيـة اخرى ، يمكن ان يكون الاتصـال الجماهيرى سـببا فى اختلال وظيفى ، يسـاهم فى اختلال المجتمع اكثر من توازنه ، اذا ما اصبح له تأثير يؤدى الى الانحراف .

ولهذا اتهم البعض وسـائل الاعلام بمسـئوليتها عن انحطاط الذوق العـام عنـد الجماهير ، وزيادة معدلات جنوح الأحداث ، وانحرافهم ، وانحطاط الأخلاق العامة ، واصابة الناس بالسطحية السياسـية ، وتقليل القدرة على الابداع عنـد الأفراد ، لمـا تقدمه اجهزة الاعلام من ثقـافة سـطحية ، وفى مواجهـة هـذه الاتهامات ، دافع البعض عن وسائل الاعلام ، على أسـاس أنها تكشف عن الفسـاد والخطيئة ، وتعمل حارسـا أمينا على ما حصل عليـه الانسـان من حرية التعبير ، وادت الى اثراء ثقافات المـلايين من النـاس ، فهى تزود الفرد بالأخبار والأحـداث

---

(٤٠) احمد بستان ، تأثير برامج التليفزيون العـام على العملية التربوية ، الكويت ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد التاسع ، ١٩٨٣ ، ص ١٢٥

الجارية من حوله فى العالم ، وتروح عن الجماهير المرهقة فى عملها طوال اليوم . ولم يصل علماء الاتصال بعد الى فهم كامل لتاثير وسائل الاعلام الجماهيرية على الجوانب النفسية والروحية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وقدرة الخلق والابداع عند الأفراد(٤١) .

وقد تزايدت الدراسات حول تاثير وسائل الاعلام ، ولا يزال الجدل قائما حتى الآن ، حول مدى تاثير وسائل الاعلام على انحراف الشباب ، وهناك ثلاثة آراء رئيسية فى هذا المجال :

الأول : يقول بانه ليس لوسائل الاعلام اى اثر فى الانحراف ويستشهد على ذلك : بان الجريمة ما زالت موجودة ومنتشرة فى العديد من المناطق التى لم تصلها وسائل الاعلام ، كما فى بعض المناطق الريفية والنائية .

والثانى : عكس الأول تماما ، حيث يعتقد اصحابه : بان لوسائل الاعلام دورا رئيسيا فى انحرافات الشباب ، ويستدل على ذلك بازدياد وتنوع انماط الانحراف ، وبخاصة فى الدول التى يشاهد شبابها الأفلام والمسلسلات عن طريق الوسائل المرئية .

الثالث : الذى يقول بان وسائل الاعلام تساعد على استثارة الميول الاجرامية للأشخاص الذين لديهم استعداد لهذه الميول ، ويستشهدون على ذلك بالقول : انه على الرغم من مشاهدة الشباب للتليفزيون والسينما ، الا ان مجموعة منهم هى التى تقوم بارتكاب السلوك المنحرف(٤٢) .

وأرجع البعض لوسائل الاعلام تزيين الطريق امام الشباب الذين لديهم استعداد للانحراف ، وبخاصة الى تعاطى وادمان المخدرات

---

(٤١) حمدى حسن ، مقدمة فى دراسة وسائل واساليب الاتصال ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٧ ، ص ٩٤ ، ١١٠

(٤٢) عبد الرحمن مصيقر ، الشباب والمخدرات ، مرجع سابق ، ص ٥٨

وذلك لأنها تزين لهم الطريق اليها ، حيث ابرزت مساوئها بشكل مثير ، مما أثار بعض النزعات السلبية عند هؤلاء الشباب ، وجعلهم يلجئون اليها ، تقليدا لما يحدث فى المسلسلات والافلام ، وبخاصة الأجنبية منها(٤٣) .

ومما يثير الدهشة أن اغلب الأفلام السينمائية والمسلسلات تتعرض لهذه المخدرات ، باظهار كيفية تعاطيها ، وما تحدثه من آثار سيئة ومع هذا يلجأ اليها بعض الشباب ، اعتقادا منهم : من أن هذا يعبر عن شىء من التقدم . وبخاصة بعض الفئات الاجتماعية ، التى غالبا ما تتسم بالأمية ، والانبهار بكل ما هو مستحدث على المجتمع ، فى الوقت الذى ساعدها فيه التغير الاجتماعى القائم على الحصول على دخول مرتفعة فتلجأ الى آلة العرض الخاصة (الفيديو) لترى فيها الأفلام والمسلسلات التى أحيانا ما تكون ممنوعة ، لخروجها عن اللياقة ، حتى عن الفن . وتكمن المشكلة الأساسية فى بعض الأفلام والمسلسلات التى يعرضها التليفزيون فى أن بطل اى فيلم أو اى مسلسل يندفع عادة ، وهو فى ذروة انفعاله ـ وخاصة فى الأعمال الدرامية ـ الى تناول كاس من الخمر لكى ينسى همومه ، أو الى « الجوزة » لكى يتخلص من مأساته . كما تلجأ بعض الأفلام الى عرض الكيفية التى يتناول بها الأفراد الهيروين والكوكايين ، والمكاسب التى يحققها المروجون عن طريق هذه التجارة غير المشروعة ، والرفاهية التى يعيش فيها هؤلاء التجار ، وتحايلهم على الهروب من سلطة القانون ، ومراوغتهم للعدالة ، وكل هذه السلوكيات والتصرفات ، تجعل بعض الشباب ، ولو عن طريق التقليد ، يندفعوا الى هذه المزالق الخطرة . فيقلدون ما يرونه من خلال أجهزة الاتصال ، لأنهم يعتبرون ابطال الأفلام والمسلسلات فى بعض هذه الحالات مثلا أعلى لهم ، فتتأثر قيمهم الثابتة ، ويضعف تأثيرها ، فيندفعون الى الخمور والمخدرات .

---

(٤٣) شاهيناز طلعت ، وسائل الاعلام والتنمية الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٤

وفى أوقات كثيرة ، تساهم وسائل الاعلام ، بشكل أو بآخر ، فى عرض صور مضللة للحقائق والمعلومات المتعلقة بتعاطى المخدرات ، مما يساعد على بلبلة ذهنية للمشاهد ، وعدم وضوح الرؤية الحقيقية عنده .

وهناك عدة طرق لهذا التضليل منها :

١ ـ أن تكون الفكرة المعروضة أساسا ، غير حقيقية ، كأن يعرض على المشاهدين ما معناه : أن تعاطى المخدرات هو الوسيلة المثلى للاستثارة الجنسية ، أو الحل الأمثل للتخلص من الهموم والضغوط النفسية ، ولو بطرق عكسية .

٢ ـ قد تعرض الفكرة بشكل متناقض (أى أن يكون جزءا منها حقيقيا والآخر غير حقيقى) ومثال ذلك : أن تناول المخدرات لا يتنافى مع قيم المجتمع .

٣ ـ أن يحتوى البرنامج الاعلامى على معلومات غير كافية أو مبتورة عن المخدرات ، مما يعطى انطباعا خاطئا ، أو غير واضح للمشاهد عن سوء استعمال المخدرات .

ومن الدراسات المنشورة التى تناولت تأثير وسائل الاعلام على انحراف الشباب بشكل عام ، وتعاطى المخدرات بشكل خاص : الدراسة التى قام بها عبد المنعم سعد عن السينما والشباب فى مصر ، فقد ذكر أحد المبحوثين أن أفلام المغامرات ، قد شجعته على الاستمرار فى تهريب الحشيش بما تعرضه من بطولات زائفة فى عمليات المطاردة ، والهروب من الشرطة ، كما ذكر ٣٢٪ من المنحرفين أنهم يقلدون بعض المشاهد التى يشاهدونها فى الفيلم .

ويكمن الخطر البالغ فى أجهزة الاعلام من كونها المتنفس الوحيد لتمضية وقت الفراغ لمعظم المراهقين ، وكثرة أفلام الفيديو التى لا تخضع للرقابة مما فتح الباب واسعا أمام التنافس التجارى الذى لا يراعى أى معايير أخلاقية ، فيتعرض الشباب لأفكار متناقضة من خلال

هـذه الأفلام التجارية ، وأحيانا تسـتثير صراعات داخليـة فى قيم الشباب ، ومعاييرهم الاجتماعية ، مما يؤدى ببعضـهم الى الانحراف والمخدرات .

ولا يمكننا بالطبع القاء اللوم على وسـائل الاعلام ، أو انكار الدور الايجابى لها فى أمور أخرى كثيرة(٤٤) .

وخاصة أن من يلجأ الى المخدرات ، هو شـخص لديه استعداد نفسى لذلك لأنه لا يسـتطيع اشـباع حاجاته ، وحل مشـاكله بطرق مشروعة ، فيهرب الى المخدرات ، اعتقادا منـه أنها ملجأه الوحيد .

وان من يلجأ الى التعاطى ، هو انسـان فقد سيطرته على نفسـه بحيث أصبح يعانى من تخلخل فى سـلم القيم التى نشـأ عليها ، وبين ما هو مستحدث ، نتيجة للتغيرات الاجتماعيـة التى كان لهـا تأثيرها على المجتمع ككل وأصبح غير قادر على التكيف والتوافق مع هـذه التغيرات التى طرأت على المجتمع .

ولا شـك أن لأجهزة الاعلام دورا مفقودا ، يجب عليها أن تقوم به ، ذلك أن تأثيرها فى مجتمع تزيد نسبة الأمية فيه على ٥٠٪ أصبح تأثيرا قويا وملموسا ، وعليها أن تحاول ايجاد نقاط التوازن بين ما يعانيه الفرد فى حيـاته اليومية وبين ما يراه ويشـاهده على شاشات التليفزيون ، وتكمن المسـألة كلها فى مدى تصـديق الانسان لمـا يراه ويسمعه ، فخطوط الثقة يجب أن تكون قوية ومتبادلة أيضـا حتى يمكن للمجتمع ككل أن ينقذ شـبابه من بين براثن المخدرات بانواعها .

***

● **الفـراغ :**

من أهم مظاهر التغير التى حدثت بانتهاء القرن التاسـع عشر وبداية القرن العشرين ، أن علماء الاجتماع أخـذوا ينظرون الى الفراغ

---

(٤٤) عبد الرحمن مصيقر ، الشـباب والمخدرات ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

والترويح باعتباره نظاما اجتماعيا ، يدخل ضمن نسيج النظم الاجتماعية الأخرى ، التى يتألف منها بناء المجتمع ٠

فالأسرة تتحمل المسئولية الكبرى فى تهيئة فرص الترويح لأبنائها ، وبخاصة الأطفال ، وفى الوقت نفسه : اكتسب المجتمع دورا حيويا فى توفير فرص قضاء وقت الفراغ ، وتيسير الامكانيات اللازمة للمواطنين وازداد هذا الدور حيوية ، بعد التغيرات التكنولوجية الواسعة النطاق ، التى عمقت الدور الذى تلعبه وسائل الاعلام الجماهيرية فى المجتمع ٠ وهكذا اكتسب كل من الفراغ والترويح : اهمية خاصة فى المجتمع المتغير ، ومصدر هذه الأهمية ، يتمثل فى الوظيفة الاجتماعية الحيوية التى يتوقع أن يؤديها كل من الفراغ والترويح ، من أجل تحديد الخطوط التى توجه السلوك الانسانى ، نحو الغايات المعقولة ، فى عصر كادت الحياة الانسانية وقيمها تفقد مغزاها الاجتماعى ، وتتجه نحو الآلية الجامدة ٠

وقد أوضح كثير من الدارسين المعاصرين الحقيقة التى مؤداها : أن الفراغ هو نتاج المجتمع الصناعى الحديث ، الذى يمثل فيه الفراغ فى حد ذاته مصدرا بديلا لقيم خلقية يمكن أن تحل محل تلك القيم التى يطورها العمل والانتاج وما يتصل بهما من تقسيمات طبقية ، وضروب الاستغلال وحالات الاغتراب(٤٥) ٠ وهذا يعنى أن الآثار المرتبطة بالفراغ ، يصبح لها تأثير على الأفراد داخل المجتمع ٠

ونعنى هنا بوقت الفراغ (Free Time) : أنه الوقت الحر الذى يتحرر فيه الفرد من المهام الملزم بأدائها بشكل مباشر أو غير مباشر ، ويتجه بارادته الى ممارسة نشاطات أخرى مرغوب فيها ، ترضى ميوله ، وتضفى على حياته تنوعا ، وتجعل لها معنى ، وتجلب له السعادة والسرور فى نهاية الأمر ٠

وفى تعريف آخر لوقت الفراغ : أنه الوقت الذى يتبقى بعد ساعات

---

(٤٥) محمد على محمد ، وقت الفراغ فى المجتمع الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٥ ص ١٣ ، ٥٢ ٠

العمـل الاجبارية ، او ساعات الدراسـة ووقت النوم ليلا ، ووقت أداء الواجبات الضرورية(٤٦) .

وللفراغ تأثيره على حياة الأفراد ، خلال مراحل العمر المختلفة ، والذى يهمنا هنا هو : الفراغ خلال فترة المراهقة التى تبدأ من ١٢ الى ١٨ عاما وفترة الشـباب التى تبدأ من ١٨ الى ٣٠ عامـا تقريبـا ، والجدير بالذكر ان تحديد هـذه الأعمار مسـالة تتوقف على الظروف الثقافية والاجتماعية فى المجتمعات المختلفة ، فهذه المرحلة العمرية لها تاثير كبير على حيـاة المرء بكاملها . ففى هـذه الفترة ، يقرر الفرد نوع التعليم الذى يختاره ، ونوع العمل اذا رغب فى ترك الدراسـة ، وتتحدد خـلال هذه الفترة طبيعة الشخصية ، التى تكون مسئولة ـ الى حـد كبير ـ علاقات المرء واتصـالاته بالعالم المحيط به .

وتتميز فترة المراهقـة بعـدد من الخصـائص النفسـية البارزة ، فهى ، فى الغالب ، فترة قلق واضطراب ، فالمراهق يحاول ان يكشف شـخصيته ، متطلعا الى الاسـتقلال وتظهر بعض التناقضـات فى البيئة المحيطـة به ، لكى يقف على كل جـديد يسـهم فى بلورة شـخصيته متطلعا الى الاسـتقلال ، وتظهـر بعض التناقضات فى الدراسـات الخاصـة بوقت الفراغ وانشـطته ، ويرجع ذلك الى ان المراهقين يعتبرون تجاربهم وخبراتهم الذاتيـة فى الفراغ ، افضـل كثيرا من تجارب الكبـار ، من حيث ملاءمتها لميولهم ورغباتهم ، ومدى تحقيقها لأهدافهم وغاياتهم ، لذلك فهم يثورون ضـد كل الضـغوط من اجل تنظيم اوقات فراغهم او تخطيطها .

فمنهم من يخطط حياته وينظمها بطريقة تتفق مع القيم المتعارف عليها داخـل المجتمع ، ومنهم من يلجأ الى تنظيم وقت فراغه بطريقة غير مشروعة ، وبخاصـة اذا كان يعانى من بعض الاضطرابات النفسية

---

(٤٦) عبد المنعم محمد بدر ، مشكلاتنا الاجتماعية ، اسس نظرية ونماذج خليجية ، الاسكندرية ، المكتب الجامعى الحديث ، الكتاب الرابع ، ١٩٨٥ ، ص ٨ ، ٩

والاجتماعيـــة . ومن أبرز ســـمات مرحلة المراهقة والشـــباب : تلك الحساسية الشديدة التى توجد عنـــدهم نحـو القيم والمعـــايير الأخلاقيـة ، ويبدو ذلك واضحا فى اهتمامات الشباب التى تدور عموما حول القضايا الدينية والسياسية ، والحساسية الشديدة تجاه كل ما هـو صـــواب أو خطـأ ، وكل ما هـو عـدل أو ظلم ، أى الاهتمـام بالمثاليات الأخلاقيـة ، والأبناء يشـعرون ، فى هـذه الفترة العمرية ، بمشـاعر متناقضـة تجاه قيم المجتمع وتجاه قيم الكبار ، مما يســبب نوعا من التوتر ، حين تصطدم قيم الأبناء بقيـم الآباء ، وما يسفر عنه من نزاعات داخل الأسرة ، فالعلاقة بينهم وبين عائلاتهم تتميز بالتعقيد والحســاسـية الشـديدة ، خاصـة فيما يتعلق بأسـلوب الآباء فى معاملة أبنائهم ، والمشـكلات التى قـد تنجم عن صراع القيم ، ومن ثم تكون الأسرة هى نقطة البداية الدائمة فى تنمية التجارب والاهتمامات التى تشـغل فراغ الأبناء(٤٧) .

واهتمام الآباء بشـغل أوقات فراغ أبنائهم بما يفيـدهم فى تنميـة وتكوين شخصياتهم اصبح مهما ، لأن التكوين السـليم يجعلهم بعيـدين عن كل ما يقلقهم ، ولا يلجئون الى سد ثغرات فراغهم مستعينين بأصدقاء السوء ، وبعض الطرق والأسـاليب والوسـائل غير المشروعة .

وتعـد انشـطة الفراغ والترويح من العوامل المهمة الواقيـة من الانحراف والضجر والســام والملل ، وتشـتت الأفكار ، وبعض ظواهر الاغتراب التى يعانى منها شـبابنا ، ومن اكثر الظواهر الملفتة للنظر : أن هؤلاء الشـباب لا ينجذبون الى المناهج والأسـاليب الرسـمية الخاصـة بأوقات الفراغ ، لأنهـا لا تثير اهتمامهم أو تشـبع رغباتهم ، وتكمن خطورة ذلك فى أنهم يبحثون عن مجالات أخرى لاشـــباع هـــذه الرغبات ، مثـل تبنى الأفكار والقيم المسـتوردة أو الدخول فى متاهات السـلوكيات المنحرفة .

---

(٤٧) محمد على محمد ، وقت الفراغ فى المجتمع الحديث ، مرجع سـابق ، ص ١٢٤ ، ١٥١

وقد كان لقلة الأماكن التى يقضى فيها الشباب جانبا من وقت فراغهم سببا جوهريا فى وقوفهم جماعات على نواصى الشوارع والأحياء السكنية لضايقة المارة ، بالفاظ نابية ، أو اغلاق الشوارع لكى يلعبوا « الكرة الشراب » بما يصاحبها من صخب وضوضاء ومتفرجين من الشباب ايضا ، وبعد هذا كله تتحول مجتمعات الشوارع هذه ، الى أنواع متعددة من السلوكيات المنحرفة مثل سرقة السيارات أو تعاطى المخدرات .

والأهم من ذلك كله ، أن الشباب الذين يتاح لهم الاشتراك فى النوادى القليلة الموجودة الآن ، يتحولون أيضا الى سلوكيات مجتمعات الشوارع وذلك لعدة أسباب أهمها : أن عضوية أى نادى من هذه النوادى ، تكلف الآن أموالا باهظة ، لا يستطيع أن يدفعها الا بعض الطبقات المستحدثة على البنية الاجتماعية المصرية ، وهم لا يدفعون عدة آلاف من الجنيهات تحت مسمى « انشاءات » لكى يحصلوا على هذه العضوية من أجل تنظيم وقت فراغهم وانما يفعلون ذلك كنوع من أنواع التفاخر الاجتماعى ، وعندما يلتقى القادرون من الشباب فى مكان واحد ، بغير هدف ، فانهم يتعاطون المخدرات ، على سبيل التجربة ، أو مسايرة لبعض أصدقائهم .. ان عضوية هذه النوادى الآن تشبه الى حد ما « خلو الرجل » فى الشقق السكنية ، وكلما تصاعدت رسوم الانشاءات ، كلما كان القادرون عليها هم الذين جمعوا الثروات بطرق معينة ربما يكون من بينها ترويج وتجارة المخدرات .

وهذا يعنى أن أماكن اشغال وقت الفراغ والترويح التقليدية (بعض النوادى) تلوثت هى الأخرى بأنواع المخدرات المتعددة ، وان انضمام بعض أبناء الفئات الطفيلية ، بحكم كثرة المال فى حوزتهم ، قد جعل هذه الأماكن غير آمنة بالنسبة لمن يريدون فعلا أن يعطوا وقت فراغهم معنى ايجابيا .

وتظل مشكلة استثمار أوقات الفراغ لشبابنا ، بطرق ووسائل

وأساليب ايجابية هدفا يجب أن يسعى الجميع الى تحقيقه ، لأن تنمية قدرات الشباب وتكوين شخصياتهم ، تمثل حجر الأساس فى بناء أية سياسة سليمة ، سواء أكان ذلك فى مجال التخطيط أو التنمية أو فى مجال الخدمات الاجتماعية(٤٨) .

فالشباب الذى لا يجد أمامه ، وسائل وأساليب بناءة ، لتوجيه أوقات فراغه ، توجيها ايجابيا ، لا يجد أمامه سوى البدائل الأخرى ، وهى تمضية وقت فراغ سلبى ، يقوده من خلال الملل والقلق الى الانحراف والسلوك الجانح ، ثم الى المخدرات .

والسلوك المنحرف فى نهاية المطاف ، ليس الا سوء استثمار لأوقات الفراغ ، ومن ثم يصبح أمر تنظيم هذا الفراغ ايجابيا ، من أبرز الطرق الوقائية والفعالة فى مجال مكافحة تعاطى المخدرات .

* * *

● **جماعة الرفاق وتاثيرها :**

تعتبر جماعة الرفاق من أهم الجماعات التى لها تأثيرها البالغ فى توجيه سلوك الفرد ، فهى تؤثر فى معاييره الاجتماعية ، ويتوقف مدى تأثيرها على درجة ولائه لها ، ومدى تقبله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها وعلى نوع التفاعل القائم بين اعضائها ، وهى تؤثر تأثيرا واضحا فى كثير من النواحى ، أهمها تكوين معايير اجتماعية جديدة ، وتنمية الحساسية والنقد ، نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك القائم فى المجتمع . بالاضافة الى تنمية اتجاهات نفسية تجاه بعض الموضوعات الخاصة بالبيئة الاجتماعية ، كما أنها تساعد على تحقيق أهم مطلب للنمو الاجتماعى : وهو **الاستقلال والاعتماد** على النفس ، وتعمل كذلك على اتاحة فرصة **التجريب** والتدريب على الجديد

---

(٤٨) عدنان الدورى ، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الاجرامى ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢

والمستحدث من معايير السلوك ، وتتيح فرصة ممارسة بعض الأنماط السلوكية بعيدا عن رقابة الأسرة(٤٩) .

وهى تعتبر جماعة اولية ذات اهمية كبرى فى احداث عملية الضبط الاجتماعى ، أو الانحراف بالنسبة لسلوك الأفراد ، لأنها تمارس ضغطا لتنظيم سلوك اعضائها ، بما يتفق مع قيمها السائدة .

وهى بذلك تعتبر من ابرز العوامل المؤثرة فى عملية تعاطى المخدرات ، بل تعد من اهم أسباب التعاطى والادمان ، فالرغبة فى التقليد ، وتزيين طريق المخدرات ، تدفع كثيرا من الشباب اليها ، اما بدافع حب الاستطلاع أو المجاراة والمباهاة أو التفاخر بالجراة أو بالرجولة المبكرة ، وكلها طرق للانزلاق الى التعاطى والادمان(٥٠) .

ولهذه الجماعة تأثيرها الواضح والهام فى ادمان الشباب للمخدرات ، لأن اى فرد ينتمى الى مجموعة من الأفراد تسود بينهم عادة التعاطى أو الادمان ، يكون متعاطيا أو مدمنا ولو عن طريق المجاملة فى البداية ، مسايرة لعاداتهم ، ولكنه بعد ذلك يجد صعوبة فى الاقلاع عن هذه العادة التى تكونت من خلال جماعة الأصدقاء(٥١) .

ومن المعروف ان التعاطى والادمان يتم اكتسابه احيانا من عملية التعلم التى تحدث نتيجة التفاعل مع الآخرين ، خاصة الجماعات وشيجة الصلة بالفرد ، وتتضمن عملية التعلم فى هذا الصدد ، الاتجاهات النوعية لدوافع وبواعث هذا السلوك ، ومبررات القيام به ، واذا كان التعليم يحدث من خلال الجماعة التى تشجع سلوك

---

(٤٩) حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعى ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢

(٥٠) حسن فتح الباب ، سمير عياد ، مرجع سابق ، ص ٣٠

(٥١) Kamer, J. F. and Cameron D. C. Amanual on durge depence, How, Geneva 1975 p.p. 50 - 52.

المتعاطى ، فان الارتباط بهـذه الجماعة ، يختلف حسب تكرار هـذا الارتباط ، واستمراره واسـبقيته وعمقه ، وارتكاب المدمن لبعض الأفعال المنحرفة ، وهو واقع تحت تأثير المخدر ، يمكن اعتباره فى ضوء هـذه النظرية : أن المدمن قـد تعلم هـذه التصرفات من خلال جماعة الأصدقاء المرتبط بها أثناء وعيـه(٥٢) .

وقـد أثبتت دراسـات متعددة أثر جماعة الرفاق فى اسـتدراج كثير من الأحداث الى الجناح ، ودور هـذه الجماعة كعامل أسـاسى للجنـاح ، ومما لا شـك فيـه أن جماعة الأصـدقاء تؤثر فى سـلوك الفرد ، فاذا كان سـلوكهم منحرفا كان احتمال انقياده لهم قويا ، وخاصـة انه اذا لم يجاريهم ، فانه يصبح غير متوافق معهم فينبذونه ، وهـذا اقسى عقاب يتعرض له ، ولهذا يكون حريصـا على ألا يعرض نفسـه لذلك ، هـذا فضـلا عن حقيقـة : أن الفرد يسـتطيع أن يحقق ذاته بشـكل فعال عن طريق معاشرة أفراد الجماعة ، وما يظهر أثناء ذلك من مواقف تبعث على الحب ، وظروف تدفع الى الكراهيـة ، وهـذه هى الممارسة الواقعية والحقيقية للحيـاة .

وقد قام كل من « ثراشر Tharasher » و « شو Show » و « ماكى Mckay» و « ستذرلاند Stuther Land » ، صـاحب نظرية المخالطة المتفاوتة (Differentialassociation) ، بدراسـات ثبت فيها أن السـلوك الاجرامى ينتج عن مخالطـة الفرد لأصـدقاء أو أقران منحرفين مخالطة أطول مـدة ، وأكثر اسـتدامة واشـد أثرا من مخالطته لأصدقاء أو غير منحرفين(٥٣) .

واذا نظرنا لمـا يحدث على أرض الواقع نجـد أن جلسـة تعاطى الحشيش ـ على سـبيل المثال ـ تضم عادة مجموعة من الأصدقاء ، لهم

---

(٥٢) صلاح عبد المتعال ، التغير الاجتماعى والجريمة فى المجتمعات العربية ، مرجع سـابق ، ص ١٨١

(٥٣) سامية حسن السـاعاتى ، الجريمة والمجتمع ، بحوث فى علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٧

نفس صفات التعاطى ، واذا انضم اليهم عضو آخر ، فعليه أن يشترك معهم ، مجاملة لهم فى أول الأمر ، ثم تتكرر العملية الى أن يصبح ذلك ادمانا ، ومن الحالات المتعددة للمتعاطين والمدمنين ، ثبت بما لا يدع مجالا للشك : أن معظمهم قدم لهم الهيروين والكوكايين من أصدقاء لهم ، فى المرة الأولى والثانية بدون مقابل ، وفى المرة الثالثة بدأوا يشعرون بضرورته بالنسبة اليهم ، وعن طريق هؤلاء الأصدقاء أيضا بدأوا فى شرائه وتعاطيه الى أن أصبح عادة لا يستطيعون الاستغناء عنها .

وتشير دراسات أجريت فى المجتمعات العربية ، الى أن مجاراة الأصدقاء كانت سببا من الأسباب الرئيسية فى تعاطى المخدرات .

ففى العراق ، وجد يوسف الياس : أن هناك ظاهرة ملحوظة بين الشباب العراقى ، وهى أن تناول المسكرات ، هى الوسيلة المفضلة للاندماج فى الجماعة ، ولهذا فان أماكن تعاطى المسكرات تشهد هذه الجماعات المندمجة فى بعضها أكثر مما تشهده أى أماكن أخرى .

وفى الأردن أشار ٣١٪ من متعاطى المخدرات أن سبب تعاطيهم يعود : الى مجاراة الأصدقاء ، كما وجد أن هناك فئة من المتعاطين تتناول المخدرات مرة فى الأسبوع بهدف مشاركة الآخرين ، ومجاملتهم ، وتقليدهم ، وتكمن خطورة ذلك : أن هذه الفئة يمكن أن تتحول الى درجة معينة من التعاطى أو الادمان .

وفى مصر ذكر ٨٤٪ من المدمنين انهم بدأوا فى تعاطى المخدرات من خلال توفيرها أولا من قبل الأصدقاء أو الزملاء(٥٤) .

ومن ثم فان الصحبة لها تأثيرها الايجابى أو السلبى فى أوقات كثيرة على الأنماط السلوكية للأفراد ، مما يدعو الى الاهتمام باختيار

---

(٥٤) عبد الرحمن مصيقر ، الشباب والمخدرات ، مرجع سابق ، ص ٦٣ ، ٦٤

الصحبة الصالحة ، التى تتحلى باسمى مبادىء الدين والأخلاق حتى يأتى تأثيرها ايجابيا .

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يصاحب » .

* * *

ضعف الوازع الدينى

تعددت أسباب ودوافع الذين أقبلوا على المخدرات بأنواعها ، وتفتحت سبل الهلاك أمام هؤلاء الناس ، من انحرافات فى سلوكهم ، تمثل فى ازدياد العلاقة بين تعاطى المخدرات ، وجريمة ازهاق الأرواح ، وهتك الأعراض بفعل تأثير المخدر على الانسان ، وكذلك جرائم السرقة والتزوير وانتشار الدعارة كطريق للحصول على المال اللازم لشراء هذه المخدرات .

ـ فالمخدر يبعد الانسان عن واقعه ، ويضعه فى عالم من الوهم ، ينسى معه وجوده وفضائله ، وينسى معه ارتباطه بمجتمعه ، وتكرار هذا الانفصال عن الواقع ، يجعل متعاطى المخدر فى حالة تبعية للسم الذى يتعاطاه ، فينهش جهازه العصبى ، ويحطم شخصيته ويصبح بالتالى ، عالة على نفسه وعلى ذويه ، فاقدا الارادة ، مريضا فى جسده وعقله(٥٥) .

واذا كانت الأسباب التى ذكرناها ، وغيرها كثير ، تضع الانسان المعاصر على ابواب تزييف وعيه ، وفقدان عقله ، وتشويه انسانيته بفعل المخدرات . فنحن بالقطع نتحدث عن انسان ، تراجع الوازع الدينى عنده ، من خلال تحلل فكرة العناية الالهية الحامية والمسيطرة والمعاقبة لأفعاله ونشاطاته ، مما جعله فريسة سهلة للمعتقدات والأفكار

---

(٥٥) سيف الاسلام بن سعود بن عبد العزيز ، تعاطى المخدرات فى بعض دول مجلس التعاون الخليجى ، مرجع سابق ، ص ١٠٤

التى صنعها وشوش بها على فكره وروحه وعقله ، وهى التى جعلته وحيدا يقاوم مصائب دنياه المتعبة .

ومسلمو اليوم الذين انهكتهم المخدرات تحللت صلتهم بدينهم الذى يحملون اسمه ، ويجهلون كنهه ويأخذونه بالوراثة ، أكثر مما يتخذونه بالمعرفة ، ضاقت بهم الدنيا ، فاندفعوا بارادتهم الى المهالك ، وكانت المخدرات ، مقابرهم وهم أحياء . بعد ان دمروا بها انفسهم وعقولهم وضمائرهم وأخلاقهم .. وقد كان ابتعادهم عن دينهم هو سبب تورطهم فيما أضاعهم واضعفهم ، اذ لو كانوا قد عرفوا الاسلام بقلوبهم وعقولهم ، لعرفوا انه ينهى عن كل ما يفسد الانسان ويضر بادراكاته العقلية والحسية ، حفاظا على كرامته وصحته ، وأنه قرر مقابل ذلك ثوابا وعقابا ، حيث راعى المشرع الاسلامى فى جميع التكاليف الشرعية رعاية أمور خمسة « حفظ الدين والعقل والنسل والمال ومكارم الأخلاق » وهى الحقوق العامة التى يتوقف عليها اتفاق المجتمع ، والتى تحقق استقراره وأمانته ، ولا يجوز للفرد المسلم ان يتنازل برضائه عن أحدها ، والا نال عقابه . وقد شرع الله سبحانه وتعالى لعباده من الدين ما فيه صلاح دنياهم وأخراهم ، ولم يفرض على عباده من التكاليف الشرعية الا ما هى فى استطاعة البشر ، وجعل التكاليف الشرعية كلها فى دائرة الاستطاعة وبعيدة عن حرج الانسان ومشقته ، وفى هذا الاطار الخاص بالتيسير ، ورفع الحرج فى التكاليف الشرعية ، أحل الله لعباده الطيب من الرزق ، وحرم الخبائث والفواحش ، ونهى عن كل ما يفسد الدين او يضر بصحة البشر(٥٦) .

وقد كرم الله الانسان ، فخلقه فى أحسن تقويم : « **خلقك فسواك فعدلك** »(٥٧) .

فكيف يسعى الانسان الى تشويه ما خلقه الله ؟

---

(٥٦) سلسلة كتب مركز ابحاث الجريمة ، المخدرات والعفاقير المخدرة ، مرجع سابق ، ص ٢١٥

(٥٧) الانفطار : ٧

ان بعد الناس عن دينهم ، يسير بصورة متوازية بمدى قربهم من حضارة العصر الحديث ، وهى الحضارة الغربية القوية والمسيطرة ويقول الأستاذ محمد أسد فى كتابه « الاسلام فى مفترق الطرق » : « لا شك انه لا يزال فى الغرب أفراد يعيشون ويفكرون بأسلوب دينى ، ويبذلون جهدهم فى تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم ، ولكنهم شواذ ، ان الرجل العادى فى أوروبا ، ديمقراطيا كان أو فاشيا راسماليا كان أو اشتراكيا ، عاملا باليد أو رجلا فكريا ، انما يعرف دينا واحدا هو عبادة الرقى المادى ، والاعتقاد بانه لا غاية فى الحياة غير أن يجعلها الانسان أسهل ، وبالتعبير الدارج « حرة مطلقة من قيود الطبيعة » ، أما كنائس هذا « الدين » فهى المصانع الضخمة ، ودور السينما والمختبرات الكيماوية ، ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما ، وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون الذين يضربون رقما قياسيا ، ونتيجة هذا النهم للقوة ، والشره للذة ، ظهور طوائف متنافسة مدججة بالسلاح ، والاستعدادات الحربية ، مستعدة لابادة بعضها بعضا اذا تصادمت مصالحها وأهواؤها ، أما فى جانب الحضارة ، فنتيجتها : ظهور طراز للانسان يعتقد أن الفضيلة فى الفائدة العلمية ، والمثل الكامل عنده ، والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادى لا غير .

واذا كان طغيان هذه النظرة الحضارية الغربية قد سيطر اليوم بكل مقاييسه وأساليبه وطرق تفكيره على حياتنا ، وكانت نتائجه الملموسة ، هو ما نحن فيه الآن فعلينا ونحن داخل المأساة أن ندرك : « أن الانسان جسم وروح ، وهو قلب وعقل وعواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رقيا متزنا عادلا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نموا متناسبا لائقا بها ، ولا يمكن أن توجد المدنية الصالحة ، الا فى وسط دينى ، عقلى خلقى جسدى ، يمكن فيه للانسان بسهولة أن يبلغ كماله الانسانى ، وقد اثبتت التجربة

انه لا يكون ذلك ، الا اذا كانت قيادة الحياة ، وادارة دفة المدنية بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة ، ويكونون أمثلة كاملة فى الحياة الدينية والخلقية ، واصحاب عقول سليمة راجحة ، وعلوم صحيحة نافعة ، فاذا كان فيهم نقص فى عقيدتهم ، أو فى تربيتهم عاد ذلك النقص فى مدنيتهم ، وتضخم وظهر فى مظاهر كثيرة ، وفى اشكال متنوعة ، واذا تغلبت جماعة لا تعبد الا المادة ، وما اليها من لذة ومنفعة محسوسة ، ولا تؤمن بما وراء الحس ، اثرت طبيعتها ومبادئها وميولها فى وضع المدنية وشكلها ، وطبعتها بطابعها ، وصاغتها فى قالبها فاكتملت نواح للانسانية ، واختلت نواح أخرى أهم منها وعاشت هذه المدنية وازدهرت فى الجص والآجر ، وفى الورق والقماش ، وفى الحديد والرصاص ، واخصبت فى ميادين الحروب وساحات القتال ، وأوساط المحاكم ، ومجالس اللهو ومجامع الفجور ، وماتت واجدبت فى القلوب والأرواح ، واصبحت المدنية كجسم ضخم متورم ، يملأ العين مهابة ، ويشكو فى قلبه آلاما وأوجاعا ، وفى صحته انحرافا واضطرابا »(٥٨) .

* * *

هذا هو حالنا اليوم ، عندما ضعف الوازع الدينى فى قلوبنا أصبحنا تابعين لغيرنا ، حضاريا وثقافيا واقتصاديا وانسانيا ولأننا أصبحنا غير أنفسنا فى عالم لا يرحم ، أدمن الكثيرون منا كل انواع المخدرات ، فغابت عقولنا ، وتدهورت أجسادنا وأسلمنا أمورنا لغيرنا .

* * *

---

(٥٨) أبى الحسن على الحسنى الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة العاشرة ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٣٩٣ هـ (١٩٧٧ م) ص ١٢٨ ، ١٢٩